الدكتور عصمت سيف الدولة

ما العمل ؟

(رسالتان إلى الشباب العربي)

دار الآداب - بيروت

مقدمة

هاتان رسالتان بينهما عامان . وقد ركدت الأحداث فيما بينهما حتى كأنهما رسالة واحدة .

فمن الذي قال ومن الذي كتب ؟

أو لم تكن الهزيمة كافية لنتعلم الا نعبأ بالقائل الكاتب بل بما يكتب ويقول ؟ أو لم تكن الهزيمة كافية لنتعلم ألاّ نعتـد بالشكل بل بالمضمون ؟ ألم نخدع في القائلين مراراً ؟ ألم ندفع ثمن الخديعة عاراً ؟

إن كنا قد تعلمنا فهاتان رسالتان مباحتان . فمن تبنّاهمـا دعوة فهما منه . ومن ارتضاهما حركة فهما اليه . وإلى الذين لم يتعلموا ما قد يرضي الفضول .

عصمت سيف الدولة

٦ حزيران ١٩٦٩

رسالة الى الشباب العربي — ١ —

في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

أيها الشباب العربي ،

السلام عليكم وعلى وطنكم العربي وبعد ،

فما العمل ؟

١ — لا شك في أن هذا السؤال يشغل كل الشباب العربي في المرحلة الراهنة ، كما لا شك في أن مصير أمتنا العربية يتوقف إلى حد كبير على مدى معرفة الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال الحاسم . ونحن في حاجة إلى أكبر قدر من الصلابة الفكرية والنفسية لكي نستطيع أن نعرف ما العمل؟ ذلك لأننا لا يمكن أن نتجاهل أننا نفكر الآن ونحن في وضع مهزوم . كذلك لا يمكن أن ننكر أنّ طعنات الاذلال المغروسة في جسم الأمة العربية الحي تمزق أنفسنا ألماً ، وتغطي حياتنا بسحابة كثيفة من الحزن الأسود . كل هذا واقع نعرفه فيجب أن نعترف به وألا نهرب منه ، أو نغالط أنفسنا فيه ، فكرياً أو نفسياً أو حركياً ،

لأننا بشر ، ولا يمكن للبشر – أي بشر – إلا أن يتألموا وأن يحزنوا وأن يحسّوا بالعار عندما تحلّ بهم هزيمة . إن المشاعر الإنسانية أمور طبيعية فلا يجوز أن نخجل منها أو أن ننكرها على أحد ، أو أن ننكر على أحد منا أن يضطرب فكرياً ونفسياً وحركياً بفعل تلك المشاعر المضطربة . إن العربي هو الذي ندم على أن استُدرج ليكون ضحية العدوان ، هو الذي ثار عندما رأى العدوان الإسرائيلي على أرضه العربية ، هو الذي غضب عندما رأى قواته المسلحة تنهزم غدراً في معركة قصيرة لم تتح لها فيها فرصة القتال ، هو الذي تألم عندما رأى العالم على حقيقته ينسحب ممثلوه من الحوار تاركين الأمر كلّه لدولتين ، مقرّين لهما بصلاحيــة القضاء في مصائر الشعوب ، هو الذي أحسّ بالعار الكئيب عندما رأى شعباً خليطاً في دولة عنصرية لايجمعه إلا الحقد على الإنسانية جميعاً ، يقهر إرادة أمة عريقة قدمت إلى الإنسانية أنصع صفحات تاريخها تقدّماً وحضارة . مليونان جمعتهم العنصرية الرجعية الحاقدة يفرضون إرادتهم على مائة مليون جمعهم تاريخ حضاري عامر برسالات الهداية التي لا يزال العالم يعيش عليها حتى الآن ، والعالم الآن يتفرج ، ويشمت. فمن حقّنا أن نشعر بالعار حتى من انتسابنا إلى هذا العالم الذي يسوده غباء القوة . ولنا في الهزيمة التي حلت مصدر إضافي للعار الذي نحسه . بل إن العربي العربي حقاً هو الذي لن ينسى هذه الأيام السود ، ويقاوم في نفسه ، وفي أسرته ، وفي أبنائــه ، وفيمن حوله ، كل الجهود التي ستبذلها جميع القوى المعتديـــة

والمتآمرة والمتخاذلة والمنهزمة ، لكي ينسى .

غير أن ما وقع قد وقع ولحق بالماضي الذي لا يمكن الغاؤه. فكما أنه لم يكن في مقدورنا أن نعيد الزمان إلى ما قبل سنة ١٩٤٨ لنحول دون اغتصاب الأرض العربية في فلسطين ، لم يعد في مقدورنا أن نعيد الزمان إلى ما قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لنحول دون هزيمة الجيوش العربية واغتصاب اسرائيل مزيداً من الأرض العربية . ليس في مقدورنا أن نعيد إلى الشهداء أرواحهم الطاهرة ، ولا أن نعيد نبض الحياة المفعمة بالأمل إلى الأخوة والأخوات والأطفال الذين جففتهم قنابل النابالم . لم يعد في مقدورنا أن نحول دون الأخطاء التي ارتكبت وأن نقنع الذين رفضوا دائماً أن يقتنعوا بالطريق الوحيد لتلافي الكارثة التي حلت . وما دام هذا كله قد أصبح في غير مقدرونا فلا مبرر للوم أو العتاب أو الاتهام . ولا يساوي شيئاً — الآن — أن نقول : كان يجب علينا أو على غيرنا أن يفعل كذا .... فإن كان فعل ماضٍ . وكل ماض لا تمكن إعادته لالغائه . لا مبرر اذن للعويل والندب والبكاء على ما فات ، فإن ما فات لايعود . دعونا إذن ننظر إلى المستقبل فإنه الطريق الوحيد المفتوح لإرادتنا . دعونا نقاوم في أنفسنا ، وفي أسرنا ، وفي أبنائنا ، وفيمن حولنا ، كل الجهود التي ستبذلها جميع القوى المعتدية والمتآمرة والمتخاذلة والمنهزمة لكي نظل حبيسي الهاوية التي تردينا فيها حتى تتعفن إرادتنا ويضيع المستقبل كما ضاع الماضي .

فما العمل ؟

٢ ــ إذا كان في غير مقدورنا أن نحول دون ما وقع ، فإن في مقدورنا دائماً أن نحول دون أن يمتد هذا الواقع إلى المستقبل . إن المستقبل هو ساحة نضالنا ، ونحن قادرون دائماً على أن نغير الظروف على الوجه الذي نريد ، فيأتي المستقبل كما نشاء خالياً من الألم والحزن والعار ، خالياً من القتل والتدمير ، خالياً من الاعتداء والمعتدين ، خالياً من إسرائيل. ولكننا نعرف أن المستقبل لا يحقق ذاته ، وأن الظروف لا تتغير تلقائياً ، وأن حل التناقض بين الماضي والمستقبل هو مهلة البشر . ونعرف هذا التناقض عمقاً وحدة ، بقدر ما نحس في أنفسنا من ألم ، فهل ثمة من يتألمون الآن أكثر منا ؟ إن هذا يحدد اتجاهنا وغايته. إنه يعني أن الخلاص من الألم والحزن والعار ،الخلاص من الواقع الذي يجثم على صدورنا ، أن نحقق نقيضه في المستقبل . إن هذا هو الطريق الوحيد لنعود فنحس مرة أخرى بأننا بشر وأننا رجال، لنستطيع أن نرفع هاماتنا وأن نتحرر من كابوس العار الرهيب ، لنستطيع أن نواجه أطفالنا واثقين من أننا سنورثهم حياة بدون ألم أو حزن أو عار ، ومن أن رجولتنا التي أنجبتهم قادرة على أن تقدم لهم مستقبلاً من الرخاء والحرية والسلام ، وأن تحميه ، لنستطيع أن نواجه زوجاتنا ولتستطيع كل زوجة أن تفرح بكل مولود جديد ، لتستطيع كل أم أن تربي ابنها بدون أن تخشى أن تثكله ، لنستطيع أن نبني بدون خشية الهدم . لنستطيع أن نتقدم بدون خشية النكسة ، لنستطيع أن نفرح بالحياة بدون خشية أن نموت شواء مقدداً بقنابل النابالم . لنستطيع أن نحلم

وأن نأمل بحياة السلام والرخاء والحرية بدون أن يكون مصير أحلامنا وآمالنا معلقاً بإرادة أعدائنا القتلة منهم والمتآمرين . لكل هذا يجب أن نحقق في المستقبل نقيض الواقع . وإذا كان الواقع هو الوجود الإسرائيلي المعتدي فإن المستقبل هو أن تزول دولة إسرائيل . وتكون مهمتنا الرئيسية أن نغير الظروف العربية وأن نحقق المستقبل الذي نريده . فمن الذي يغيّر الظروف يحقق المستقبل ؟ إنه الإنسان . إن هذا يحدد مهمتناالأولى : إنقاذ الإنسان العربي كخطوة حتمية أولى لإمكان إنقاذالمستقبل العربي.

فما العمل ؟

٣ ـ إن الخطر الذي يتهدد الشباب العربي الآن هو أن يقبل الهزيمة ،أن يصبح شباباً مهزوماً وليس شباباً مناضلاً في وضع مهزوم ، ونصبح منهزمين عندما نفقد في الظلام الذي يحاول ، وسيحاول ، المعتدون والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون نشره على الأرض العربية، المقدرة على رؤية مواقفنا القومية والتشبث بها . عندما نقبل ما يقوله المعتدون والمتآمرون من أننا قد فقدنا المقدرة على الاستمرار في المعركة ، عندما نقبل ما يقوله المتخاذلون والمنهزمون من أننا غير قادرين على النصر على أعدائنا. عندما نستمع إلى الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين وهم يحاولون أن يغرسوا في رؤوسنا بذور اليأس لنقبل الواقع الذي صنعوه فنتخلى عن المستقبل . عندما نقبل أن تشركنا الأقليمية المنهارة في منطلقها الخاطىء ، ومسيرتها الضالة ، ومسئوليتها الجسيمة ، وخسائرها الفادحة .فلنصمد عند موقفنا القومي فكراً

وحركة ، ولننظر إلى ما حدث من حيث نحن صامدون، فماذا نرى ؟

في صباح يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وجهت إسرائيل ضربة مؤثرة إلى قواتنا الجوية فأخرجت الجانب الأكبر منها من المعركة بدون أن تتاح لطيارينا فرصة القتال . وفي الأيام القليلة التالية دمرت كثيراً من عتادنا وقتلت كثيراً من جنودنا البواسل وأبادت كثيراً من آبائنا وأمهاتنا وإخوتنا وأخواتنا وأطفالنا ونثرت على أرضنا كثيراً من الثكلى واليتامى والمشوهين والمشردين وأذلت الأسرى وهتكت حرمات البيوت ، وكان الإسرائيليون وحوشاً ضارية ولغت في دمائنا . ومنذ صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قاتل جنودنا البواسل وشبابنا ورجالنا ونساؤنا في الصحراء وفي المدينة المقدسة وعلى مشارف سورية قتالاً بطولياً في معركة مكشوفة لقوات العدو الجوية ، وفي ظروف بالغة القسوة ، وقد دمرنا من عتاد الأمريكيين عندهم مثل ما دمروا ، وقتلنا منهم كما قتلوا وإن كنا قد عجزنا أن نكون وحوشاً تلغ في الدماء مثلهم . فماذا يعني كل هذا ؟ إن كانوا قد قتلوا أخيراً ودمروا وشردوا فقد شردوا الملايين وقتلوا الآلاف وبقروا البطون وهتكوا الأعراض وفتكوا بالأطفال سنة ١٩٤٨ . ثم دمروا ما استطاع الإنجليز والفرنسيون أن يدمروه لهم سنة ١٩٥٦ . لا جديد إذن إلا مزيداً من الشهداء في صفوفنا ومزيداً من القتلى في صفوفهم في جولة جديدة من معركة بدأت منذ تسعة عشر عاماً ولم تنته بعد . ولن يكون ما حدث آخر

القتل والتدمير ، إلى أن يتحقق النصر بزوال إسرائيل . كل الخسائر ، إذن ، كانت متوقعة ، فوقوعها عاجز مقدماً عن أن يهزمنا ويفقدنا المقدرة على الاستمرار في المعركة حتى غايتها . إننا نتألم كالآخرين ، ولكن الذين يقلبون الخسائر في الأرواح والعتاد إلى هزيمة هم الذين كانوا قد نسوا فلسطين . هم الذين كانوا – تحت تأثير أحلامهم الإقليمية الحقيرة – قد نسوا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ . هم الذين كانوا إلى ما قبل يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ قد هزموا أنفسهم مقدماً ، فاعتقدوا أن إسرائيل نوع – ولو رديء – من الدول وأنها ليست معسكراً لقوة باغية من بشر كالوحوش الضارية . هم الذين كانوا قد تخلوا عن مواقفهم القومية فظنوا أنهم قادرون على أن يحتفظوا بالحياة الآمنة داخل حدودهم الأقليمية بينما دولة الذئاب على أرض فلسطين العربية ، هم الذين كانوا قد تخلوا عن المعركة فظنوا أنها انتهت بعد سنة ١٩٤٨ ، إلى أن بطش بهم المعتدون فظنوا مرة أخرى أنها انتهت سنة ١٩٥٦ ، إلى أن ذكرتهم إسرائيل ذاتها بأن المعركة لم تنته بعد فوجهت اليهم ضربتها يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ . ومنهم من يظن أن المعركة الآن قد انتهت فيشغل نفسه بإقامة المآتم وإعداد الحساب الختامي لقوائم الخسائر والأرباح في الأرواح وفي العتاد. كل هؤلاء يشعرون الآن بأنهم فد هزموا لأنهم لم يعرفوا قط ماهية المعركة ضد الوجود الإسرائيلي ، فهم منذ البداية مهزومون .

أما بالنسبة إلى القوميين ، فضحايا غالية في معركة مصير

مستمرة ، تضاف إلى ضحايا غالية من قبل ، ولن تكون هي ذاتها آخر الضحايا . وقد دمروا وقتلوا ودمرنا وقتلنا . ولسنا نتحدث عن خسائرهم ولا عن خسائرنا . إذ ليست المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة قتل وتقتيل . وليست غايتها أن نقتل منهم أكثر مما يقتلون منا ، وأن يفقدوا أكثر مما نفقد ، وأن ندمّر من عتادهم أكثر ما يدمرون ، ثم نقيم موازين النصر أو الهزيمة على أساس رصيد ما بقي لنا وما بقي لهم . فليست غايتنا أن نقتل الإسرائيليين ، وأن ندمر أسلحتهم ، ثم نفرض عليهم شروط الصلح كما هو الأمر في المعارك العسكرية . إن معركتنا أبعد ما تكون عن المعارك العسكرية لأنها معركة وجود . إن غايتنا أن نزيل دولة إسرائيل . وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الشهداء وبعض العتاد في جولة أو أكثر من جولة ، وقد نقتل منهم وندمّر أكثر مما يقتلون ويدمرون ، ولكنا لا نكون قد انهزمنا عندما نخسر جولة أو نفقد أرواحاً أو عتاداً ما دمنا مستمرين في النضال من أجل غايتنا : زوال دولة إسرائيل . كذلك لا نكون قد انتصرنا ولو دمّرنا القوة العسكرية لإسرائيل ، ولو أبدنا نصف الإسرائيليين ما دامت دولة إسرائيل باقية .

هكذا نرى الذي حدث من مواقفنا القومية ، جولة خاسرة في معركة مستمرة ، وكل خسائرها متوقعة من قبل أن تقع ، فهي لا تقدم كثيراً ولا تؤخر كثيراً في موقفنا من غايتنا الوحيدة : زوال دولة إسرائيل . إن هذا الموقف القومي حصانة لنا ضد قبول الهزيمة ، وأهم من هذا حصانة لناضد الجهود التي سيبذلها

الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج النواح على الشهداء ومناقشة حساب الأرباح والخسائر بيننا وبين إسرائيل، وإغراءات التعويض السخية التي نتوقع أن تقدم لنا لنقبل ما وقع ونتخلى عن غايتنا، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا.

ثم ماذا حدث ؟

استولت إسرائيل على الضفة الغربية من الأردن، وقطاع غزة، وسيناء، وجزء من الأرض العربية في سورية. إن هذا يبدو كما لو كان نهاية الدنيا بالنسبة إلى من ينظرون اليه ويقيسونه على وجودهم الأقليمي. وقد يقبلون الإذلال والمساومة لإنقاذ أرض « الوطن ». ويعلم أعداء الأمة العربية منهم ما يعرفون من أنفسهم فيساومونهم على إعادة أرضهم اليهم، ويقترحون عليهم ضماناً لحدودهم، ويطلبون منهم ثمناً أن يقبلوا وجود إسرائيل وأن يضمنوا حدودها. إنها مأساة فعلاً. ولكنها مأساة الأقليميين. أما بالنسبة إلى القوميين فجولة خاسرة وليست مأساة تبرر المساومة الذليلة. إن القوميين الذين كان ولاؤهم دائماً للوطن العربي الكبير، الذين لم يحترموا قط حدود الدول الأقليمية يرون ما حدث على وجه لا يراه الأقليميون: إذا كانت إسرائيل قد احتلت سيناء وغرب الأردن وجزءاً من الأقليم الشمالي (سورية) فإنها تحتل فلسطين منذ تسعة عشر عاماً. لا جديد إذن إلا أننا نتقهقر في معركة ميدانها الوطن العربي الكبير وغايتها استرداد كل الأرض العربية من كل المغتصبين، في الجنوب

العربي وفي فلسطين . لسنا نقاتل إسرائيل من أجل أرض وراء أو أمام خط الهدنة . لسنا نقاتلها من أجل مدن أو صحارى : لسنا نقاتلها من أجل مكاسب أقليمية . إنما نخوض ضدها معركة مصير غايتها أن تزول دولة إسرائيل . وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الأرض ، وقد نسترد بعضها ، قد نتقهقر وقد نتقدم ، ولكن التقهقر لن يكون هزيمة والتقدم لن يكون نصراً ، لأن الهزيمة هي أن تبقى دولة إسرائيل ولو رمزاً في قرية ، والنصر أن تزول دولة إسرائيل .

هكذا نرى الذي حدث من مواقفنا القومية ، تقهقراً على الأرض العربية والمعركة مستمرة . وكل أرض أخليناها وكل ما نسترده من أرض لا يقدم كثيراً ولا يؤخر كثيراً في موقفنا من غايتنا الوحيدة : زوال إسرائيل . إن هذا الموقف القومي حصانة لناضد قبول الهزيمة ، وأهم من هذا ، حصانة لناضد الجهود التي سيبذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج مسارح الدبلوماسية الدولية وتبادل ضمانات الحدود ، وإغرائنا بنصر زائف عن طريق إقناع إسرائيل ، أو إكراهها ، على أن تنسحب من الأرض التي احتلتها أخيراً لتبقى لها الأرض التي احتلتها أولاً ، وهو ما نتوقع أن يقدم لنا لنقبل ما وقع ونتخلى عن غايتنا ، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا .

ثم ماذا حدث ؟

في مساء يوم الاثنين ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت

القوات المسلحة للقدر الأكبر من الدول العربية محتشدة على حدود الأرض السليبة أو في الطريق اليها . وكانت كل الدول العربية قد وصلت في تضامنها إلى ذروة هذه الصيغة من العمل المشترك خلال بيانات ومشاورات وزيارات ومعاهدات وبروتوكولات واتصالات تليفونية وشخصية بين الجميع . وفي مواجهتها كانت جيوش الصهيونية العالمية محتشدة في إسرائيل . ونظراً لطبيعة المعارك العسكرية الحديثة وطبيعة أرض الجبهة لم تكن نتيجة المواجهة العسكرية محل شك : ينتصر من يضرب الضربة الأولى فيكسب السيطرة الجوية . فضربت إسرائيل وكسبت الجولة ولم نضرب أولاً فخسرناها . تلك هي الخلاصة التي تغني عن كل تبرير للنصر أو تفسير للهزيمة . وعندما نعرف لماذا لم نضرب نحن الضربة الأولى نكون قد عرفنا ما يكفي مما حدث ، لأننا نكون قد عرفنا الجوهري منه . لم نضرب الضربة الأولى لأن الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات السوفيتية قد اتفقا في اتصال مباشر على خط هاتفي مفتوح بين موسكو وواشنطن على ألا نكون نحن الضاربين أولاً ، وطلبا منا هذا ، وعداً سوفيتياً ووعيداً أمريكياً ، فسمعنا وأطعنا وخضعنا . كان ذلك يوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ . إن هذا التاريخ هو الذي يجب أن نحفره في رؤوسنا فلا ننساه ، ونحفره على قبور شهدائنا لأنهم ضحاياه ، ونردده على أبنائنا فلا ينسوه ، وألا نسمح لأية قوة على الأرض بأن تنسينا إياه . إنه يوم الجمعة ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ . وليس يوم الاثنين ٥ حزيران

(يونيو) ١٩٦٧ أيها الشباب العربي فلا تنسوه . وإن تنسوه فإنكم هالكون . ففي ذلك اليوم الأسود المشئوم خرجت قيادة المعركة التي حشدنا لها أبناءنا وأخوتنا ، التي تحملنا كثيراً ودفعنا كثيراً لنعدّ لها ، التي تعلق بها شرف أمتنا العريقة وسلامة أرضها ، خرجت من أيدينا ، وتولى إتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق والولايات المتحدة الأمريكية العدوة ، إدارة المعركة ، وتحديد بدء إطلاق النار ، ومن يوجه الضربة الأولى . تولت الدولتان ، عملياً وموضوعياً ، وبصرف النظر عن حسن النية أو التآمر المريب أو الخديعة الماكرة أو الانخداع الغبي ، تحديد من الذي ينتصر ولمن تكون الهزيمة والدمار والألم والحزن والعار . في ذلك اليوم الأسود المشئوم تقرر أن يكون أخوتنا وأبناؤنا المحتشدون على أرضنا ، جنداً في ساحة معركة يقودها غيرنا . ولم نكد نفيق من الضربة الغادرة الأولى ونحاول أن نستر د إرادتنا لندفع عار الهزيمة بالتكتيك المناسب حتى اختلى مندوب اتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق بمندوب الولايات المتحدة الأمريكية العدو ، في حجرة مغلقة في مقر مجلس الأمن بنيويورك وانتظر العالم كله على الباب ليقرر صاحبا الشأن ما يريانه في أمرنا فاتفقا على إيقاف إطلاق النار . وبينما سمعنا وأطعنا وخضعنا فحرمنا من الفرصة الوحيدة للدفاع بشرف عن أمتنا : إطالة الحرب وتوسيع نطاق القتال وسحب قوات العدو وبعثرتها على أكبر رقعة من الوطن العربي الكبير ثم الانقضاض عليها ، احتاجت الدولتان القائدتان إلى مزيد من الوقت والحوار

في جلسات مجلس الأمن وعلى خط الهاتف الأحمر للاتفاق على ما إذا كان أمر إيقاف إطلاق النار يمنع ، أو يبيح ، لإسرائيل أن تتقدم على الأرض العربية حتى دمشق . وبمجرد إيقاف إطلاق النار على حدود سورية ، بعد أن كانت إسرائيل قد احتلت القنيطرة ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها — ولم تقل إسرائيل — قد انتصرت ، وأصبح مفهوماً تلقائياً مَنْ الذي انهزم ، ثم احتدمت بين الدولتين حرب دبلوماسية يحاول فيها اتحاد الجمهوريات السوفيتية أن يكسب الجولة التي خسرها فيسترد — لنا — الأرض التي ضاعت ، ويعوض — لنا — العتاد الذي دمر ، وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية فيها أن تحتفظ بثمار المعركة التي كسبتها وأن تملي — علينا — شروط الصلح. ولا تزال المعركة بينهما مستمرة . إنها مأساة فعلاً ولكنها مأساة الإقليمية . الإقليمية التي ظنت أن لدولها الهزيلة من الثقل الدولي ما يحول دون أن يتقرر مصيرها خلسة بين القوى الدولية الصديقة والعدوة . الأقليمية التي توهمت أنها ندّ لأصدقائها أو لأعدائها . الأقليمية التي تصورت أن إسرائيل دولة فقاستها حجماً وقوة على أحجامها وقواتها فتطلعت إلى نصر سريع ، فتهافت حكامها على الالتقاء والتعاهد والمشاركة ليمشوا صفاً واحداً في شوارع تل أبيب ، ونسيت أن إسرائيل قاعدة لقوى الأمبريالية على الأرض العربية . االأقليمية التي خدعت نفسها فحسبت أن قضية فلسطين هي قضية « منظمة التحرير الفلسطينية » أو الشعب العربي في فلسطين أو دولها الأقليمية ، فتصدت لها

بحساباتها الخاطئة ونسيت أنها قضية الأمة العربية وأن حسابات معاركها لا بد أن تكون قومية . الأقليمية التي تشن – الآن – حملة عداء منفعلة ضد الامبريالية العالمية والولايات المتحدة الأمريكية كأن عداوة أمريكا والامبريالية العالمية للأمة العربية وحرية الشعوب جميعاً لم تولد إلا يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . إذا كانت قد فوجئت بالعدوان الأمريكي الامبريالي فلأنها كانت قد ظنت أن هناك مبرراً – أي مبرر – لوجود دولها الأقليمية الهزيلة في عصر البغي الأمريكي الامبريالي . الأقليمية التي تعتب – الآن – أو تسخط على اتحاد الجمهوريات السوفيتية الصديق لأنه قد أخلف وعده ، كأن صداقة اتحاد الجمهوريات السوفيتية حماية تحت الطلب أو أن قواته في خدمة مصالحها لا مصالحه . إنها إذ تغضب الآن لأن اتحاد الجمهوريات السوفيتية قد كف عنها حمايته تكتشف – عملياً وموضوعياً – حقيقة استقلالها وسيادتها . إنها إذ تتجرع مرارة خيبة الأمل وتحس بقسوة الغدر فلأنها كانت قد ظنت أنها دول ذات وزن يفرض على الأصدقاء أن يربطوا مصيرهم بمصيرها في المعارك المصيرية . وكل هذا غير صحيح . إنه من خلق أوهام الأقليمية فإذا كانت الأقليمية قد وجدت نفسها في مأساة فهي التي خلقت مأساتها . ولن يجديها شيئاً أن تلوم الولايات المتحدة الأمريكية على الحرب التي أعدت لها وخططت ثم عهدت إلى الصهاينة بتنفيذها ، فحتى الأطفال القوميون يعرفون أن الولايات المتحدة الأمريكية عدوة الشعوب ، وأننا لا نلوم أعداءنا بل ندمرهم .

ولن يجديها شيئاً أن تعتب على اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، فحتى الأطفال القوميون يعرفون أن الصداقة بين الدول تعبير عن التقاء المصالح القومية وأنها في خدمة المصالح ولا تضحي المصالح من أجلها . حتى الاطفال القوميون يعرفون أن الصداقة لا تقوم إلا بين أنداد ، وإلا فإنها تبعية أو وصاية . حتى الأطفال القوميون يعرفون أن سواد العيون غير ذي جاذبية مؤثرة في سياسة الدول . إن مأساة الاقليمية عميقة ومدمرة وداعية لليأس فعلاً ، لأنها اكتشفت في أشد اللحظات حرجاً أنها – طبقاً لموازين المعركة – لا تساوي شيئاً .

أما القوميون فيرون الأمور من موقفهم القومي على وجه لا يراه الأقليميون . إنهم يرون كل شيء قد سار طبيعياً طبقاً لقوانين وموازين القوى بين الأمم في القرن العشرين . فإسرائيل ليست ، ولم تكن يوماً ، وجوداً دولياً مستقلاً عن الامبريالية العالمية ، بل هي قاعدة عدوانها ضد الأمة العربية . وأي عربي على قدر من العلم بتاريخ التآمر الاستعماري ضد الأمة العربية يعرف أن الاستعمار البريطاني قد كان قرر إنشاء دولة فاصلة بين المشرق العربي والمغرب العربي ، في فلسطين أو في سيناء ، تكون مهمتها أن تحول دون وحدة الأمة العربية ، ووضع مشروع تلك الدولة بدون توقف على أطماع الصهيونية في فلسطين ، بل وحتى عندما كان الصهاينة يبحثون عن أرض يغتصبونها في أماكن متعددة من أفريقيا . وعداء الولايات المتحدة الأمريكية والامبريالية العالمية للأمة العربية له أسباب موضوعية

سابقة على سنة ١٩٦٧ بكثير ، بل إن بعض أسبابه تمتـد إلى صراع تاريخي سابق على وجود الولايات المتحدة الأمريكيـة ذاتها ، توارثه الأقوياء من الغرب دولة فدولة حتى تولته الولايات المتحدة الأمريكية ضمن مخططاتها الاستعمارية الجديدة ضد الأمم والشعوب. وعندما يتفق اليمين واليسار الأوربي ضد العرب ويعقد البسطاء في شوارع العواصم الأوربية والامتركية حلقات الرقص فرحة بهزيمة العرب ، يطفح العداء العنصري للعرب فوق كل ادعاءات المدنية والإنسانية وتسقط ترهات الزاعمين التقدمية والاشتراكية الذين لا يزالون — حتى من حيث لا يدرون — أسرى مركب الاستعلاء العنصري الأبيض وثارات الصراع القديم . وصداقة اتحاد الجمهوريات السوفيتية لها هي أيضاً موضوعية سابقة على سنة ١٩٦٧ بكثير . وأسبابها الموضوعية لها حدود موضوعيـة لا تتعداها . والقوميون الذين اعتزوا بتلك الصداقة ودعموها لم يسيئوا فهمها قط . إنها صداقة في سبيل مصالح العرب والسوفيت معاً ، وتابعة لالتقاء تلك المصالح ، وفي حدود هذا الالتقاء ، وليست على حساب مصالح العرب أو السوفييت . إنها صداقة وليست تبعية بالنسبة إلى العرب . وصداقة وليست وصاية بالنسبة إلى السوفييت . فليس لهم أن يطلبوا منا التبعية بحجة الصداقة ، وليس لنا أن نطلب منهم الوصاية بحجة الصداقة . وقضيـة فلسطين قضية قومية ، وليست قضية فرد أو فئة أو الفلسطينيين أنفسهم ، أو أية دولة أقليمية ، فاستردادها لا يتم إلا بمنطق قومي من منطلق قومي بأداة قومية في معركة قومية لحساب الأمة

العربية . ولم يتوقف القوميون عن القول ، والترديد والصراخ في بعض الأوقات : إن الأقليمية تساوي الفشل . لا مكان في هذا العالم ولا وزن للدول العربية الأقليمية منفردة أو مجتمعة . لا يمكن أن تكون التجزئة التي فرضها الاستعمار هي أداة التحرر من الاستعمار . لا يمكن للقيود التي تكبل جماهير الأمة العربية وتحول دون التحامها أن تكون هي سلاحها في معركة الحرية . كفّوا عن الوهم والادعاء الخطأ وأعيدوا لجماهير الأمة العربية دولة الوحدة لتكون أداة إرادة الجماهير الواحدة . بل إن القوميين يدركون تماماً أنه في يوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ ما كان في استطاعة الدول العربية الأقليمية مجتمعة أن تقول : لا . لأن الأقليمية كانت قد سلبت الأمة العربية المقدرة على أن تقول «لا» للأصدقاء والأعداء معاً منذ زمن سابق على سنة ١٩٦٧ بكثير .

لهذا فإن الذين ينظرون إلى الأحداث من موقفهم القومي لا يرون فيما حدث شيئاً غريباً . إذا كان فشل الأقليمية قد وقع كالصاعقة على أفئدة الأقليميين فإنه كان متوقعاً عند القوميين فهو عاجز مقدماً عن أن يسلبهم مقدرتهم على الاستمرار في المعركة . إذ أن الأمة العربية وجماهيرها العظيمة لم تكن طرفاً فيما حدث يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وما سبقها من أخطاء وما صاحبها من تخاذل وما تلاها من مناورات . لم تكن طرفاً لا بالإرادة ولا بالفعل . وإن كانت هي التي دفعت من أبنائها وأرضها ثمن ما حدث . فالأمة العربية وجماهيرها العظيمة

لا تنهزم عندما تفشل الأقليمية في تحرير فلسطين ، ولا تنتصر حتى لو استطاع اتحاد الجمهوريات السوفيتية وهو يخوض الآن صراعاً دولياً تأييداً لقضيتنا ولكن دفاعاً عن هيبته ومصالحه في العالم الثالث ، أو لو استطاعت الـدول الصديقة وهي تخوض ذات الصراع تأييداً لقضيتنا ولكن دفاعاً عن وجودها أن يناله ما نالنا من الاعتداء الامبريالي ، أن يستردوا للأقليمية العربية الأرض التي فقدتها ، لحسابها أو لحساب دولة عربية أقليميـة جديدة على بعض أرض فلسطين تصفية لقضية اللاجئين . إنما تنتصر الأمة العربية عندما تسترد جماهيرها العظيمة أرض فلسطين لحساب دولة الوحدة العربية وتنهزم إذا قبلت وجود دولـة إسرائيل ولو أعيد اليها اللاجئون .

إن هذا الموقف القومي حصانة لناضد قبول الهزيمة ، وأهم من هذا ، حصانة لنا ضد الجهود التي سيبذلها الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون لتصفية قضيتنا القومية في ضجيج الإشادة بمقدرة الدول الأقليمية ـ بمساعدة أصدقاء الأمة العربية ـ على استرداد الأرض التي فقدتها ، ونداءات العودة إلى دعم البناء الأقليمي . وهو ما نتوقع أن يدعونا اليه لنقبل ما وقع ونتخلى عن غايتنا ، أي لنقبل الهزيمة فنكون قد انهزمنا .

هذا هو ما حدث كما نراه من الموقف القومي : تـآمر وتخاذل واعتداء وقتل وتدمير وفشل في جولة من معركة بدأت قبل سنة ١٩٦٧ بكثير ولم تنته بعد . وفي ما حدث ما يكفي ، وأكثر لنشعر بالألم والحزن والعار ، لأننا بشر ، ولكن ليس

فيه على أي وجه ما يعني الهزيمة . ليس فيه على أي وجه ما ينال من مقدرة أمتنا العربية على النصر . ليس فيه على أي وجه ما يغير موقفنا من أصدقائنا ومن أعدائنا أو يصرفنا عن غايتنا : زوال دولة إسرائيل .

فليتشبث شباب الأمة العربية ــ إذن ــ بالموقف القومي فلا ينهزم . وليقاوموا في أنفسهم وفي أسرهم وفي أبنائهم وفيمن حولهم كل الجهود التي يبذلها ، وسيبذلها ، الأعداء والمتآمرون والمتخاذلون والمنهزمون ليشككوهم في موقفهم القومي أو ينتزعوهم منه قسراً ، أو يأساً ، أو إغراء ببديل عنه . أيها الشباب العربي ، لقد كانت القومية دائماً أداة النصر ، وهي الآن طوق النجاة ، فتشبثوا بها . وليرفع الشباب من أمتنا العظيمة رؤوسهم ولو كانوا في وضع مهزوم . عندئذ يرون بوضوح مهمتهم الثانية : تغيير ظروف المعركة والاستمرار فيها حتى النصر .

فما العمل ؟

٤ ــ إن الواقع هو نقطة البداية الحتمية إلى المستقبل . ومهما تكن آمال الشباب العربي في المستقبل لا ينبغي أن يتجاهلوا ما وقع أو أن يحاولوا ــ فكرياً أو حركياً ــ القفز من فوقه إلى آمالهم . إن هذه مثالية فاشلة . فمهما يكن الشباب العربي غير مسئولين عن الوضع المهزوم الذي تردت فيه قضية فلسطين فإنهم مسئولون عن التصدي إيجاباً لهذا الواقع الذي يكرهونه .

مسئولون لأن القضية قضيتهم والمصير مصير أمتهم . والشهداء أخوتهم وأبناؤهم . والأرض أرضهم . مسئولون لأن أية خطوة إيجابية لا بد أن تبدأ من هذا الوضع المهزوم . إن أية محاولة — الآن — للتخلي عن مجابهة الواقع ، ولو بحجة البحث عن بداية جديدة ، هي عملياً وموضوعياً تسليم بما وقع ، وقبول الهزيمة ، أي أنها مساهمة في تحقيق أغراض أعدائنا ، فإن غاية أعدائنا الآن أن نقبل ما وقع ولا يضيرهم كثيراً — ما دمنا نقبله — أن نتحدث ما شاء لنا الحديث عن جولات قادمة .

والواقع الذي نكرهه — كما نعرفه — أن الإسرائيليين قد احتلوا أخيراً سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية من الأردن وبعض مشارف سورية بعد هجوم عسكري سريع أجلى القوات العربية عن تلك المناطق . ويحاولون الآن إبادة العرب فيها أو إكراههم على الجلاء عنها . ولكن الواقع أيضاً أن توقف القتال كان على أثر قرار بإيقافه من هيئة الأمم المتحدة . وأن معركة دبلوماسية بالغة العنف تحتدم الآن على المسرح الدولي بين الشعوب الصديقة بقيادة اتحاد الجمهوريات السوفيتية والدول المعادية والمتآمرة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية حول إدانة إسرائيل وسحب قواتها من الأرض التي احتلتها أخيراً . وفي الوقت ذاته لا تكف القوات المسلحة لكثير من الدول عن التأهب والتحرك لمواجهة احتمالات الموقف . وفي الوقت ذاته لا تكف بعض الدول العربية عن الإعداد والاستعداد لمواجهة مسلحة جديدة وكذلك تفعل إسرائيل . ومن ناحية أخرى تشتبك جماهير

الأمة العربية في معركة اقتصادية ضد المعتدين والمتآمرين . فقيود ضخ النفط لا تزال قائمة وقابلة للاستمرار . وقناة السويس لا تزال مغلقة . ودعوة المقاطعة وتصفية القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية في الأرض العربية لا تزال في بدايتها . والوحدة تكاد تفرض ذاتها فلا أحد يجرؤ الآن على الهمس دفاعاً عن الأقليمية . والأقليمية ذاتها مجروحة جرحاً قاتلاً قد يدفعها إلى القتال بوحشية دفاعاً عن مصيرها . وجماهير الأمة العربية تغلي غضباً لكرامتها وكبريائها المثلومة . ووراء كل هذا احتمال جولة عسكرية متوقعة ستكون إن وقعت أكثر عنفاً وشراسة وربما أوسع نطاقاً من أية حرب شهدها هذا الجيل . إن معنى هذا أن المعركة التي بدأت على حدود فلسطين المحتلة يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قد أصبحت تدور على مستوى عالمي ، وتسهم فيها قوى عالمية ، كما تشترك فيها الأمة العربية بجماهيرها العريضة والدول الأقليمية بكل ما تستطيع .

الجولة إذن لم تنته ، والعودة إلى قوة السلاح متوقعة في أية لحظة ، والصراع الدبلوماسي والاقتصادي لا يزال مستعراً . هذا أيضاً واقع لا يمكن تجاهله . لهذا فإن على الشباب العربي أن يدرك أنه لا يزال مشتبكاً مع أعدائه وأن يلتزم مسئولية هذا الاشتباك فلا يتخلى عن مواقعه ولا يكف عن التقدم واكراه أعدائه على التخلي عما اغتصبوه . إن شعار « إزاله آثار العدوان » الذي تدور المعركة الآن تحت لوائه يعني استرداد الأرض العربية التي احتلها الأعداء أخيراً . هذه هي المهمة المباشرة للشباب

العربي الآن . إن واجبهم الرئيسي أن يصمدوا في المعركة ولا يتخلوا عن الاشتباك ولا يسمحوا لأحد أن يلهيهم عن هـذا الواجب بالمناقشات الانهزامية حول ما كان يجب علينا أو على غيرنا أن نفعل ، ولماذا فعل أو لم يفعـل ، وأخطاء الماضي والمسئولية عنها . إن تحديد المسئولين عمـا وقع ومحاسبتهم وتوقيع العقوبة الرادعة بهم واجب قومي حتى لا يستهتر أحد مرة أخرى بمصير هذه الأمة ، ولا يعبث بكرامتها ،ولا يستهين بحياة أبنائها ، ولا يمكن لأعدائها منها . واجب قومي نعـم ، ولكن ليس هذا أوانه . فإن أقصى ما يبغيه أعداؤنا الآن ، وما يبذلون جهودهم الخبيثة لتحقيقه أن نتخلى عن الاشتباك معهم — والمعركة لم تنته بعد — لتمزق ما تبقى من صفوفنا ونستهلك ما تبقى من طاقتنا في موجات من الاتهام المتبادل والبحث عـن المسئولين . إننا إذ نسمح لأنفسنا بأن ننزلق إلى ما يدفعوننا اليه نكون قد قبلنا الهزيمة فانهزمنا . وقد تفاجئنا الأحداث بقتـال جديد فلا نستطيع إلا أن نكون ضحايا مباحة للقتل والتـدمير ومزيد من الأذلال والعار . وقد لا نفيق حينئذ إلا وقد امتدت إسرائيل من الفرات إلى النيل . لهذا يجب أن يصمد الشباب العربي وأن يظلوا مشتبكين مع أعدائهم وأن يعدوا أنفسهم لقتال جديد حتى « تزول آثار العدوان » . وأية محاولة لصرفهم إلى غير هذا الهدف الملحّ تخريب قد يبلغ حد الخيانة وقد يكون خيانة مأجورة وسيأتي هذا التخريب من جانب الأعداء والمتآمرين تخطيطـاً عدوانياً في جبهة الحرب النفسية التي لم تهدأ والصراع فيها ذو

نتائج حاسمة . وقد يأتي من المتخاذلين الانهزاميين الذين سيملأون المقاهي والصالونات حديثـاً « دراماتيكياً » عن آرائهم الـتي صدقت وتنبؤاتهم التي وقعت ليثبتوا أنهم أبرياء فلا مبرر للإسهام في معركة لم يكونوا أصحابها منذ البداية . ولكن القدر الأكبر من هذا التخريب سيأتي من الأقليمية الجريحة . إنها كما قـد تندفع إلى القتال الوحشي دفاعاً عن وجودها ، قد تبحث عن فرصة أخرى للحياة بالهرب من مواجهة المعركة . وليس كل الأقليميين سواء وإن كان وجودهم هو – وسيظل – الباعث الأقوى على استمرارهم في المعركة أو هربهم منها . فلينتبـه الشباب العربي لهذا وليَحُلْ بكل قواه دون هرب الأقليمية من المعركة ، ومساومة الأعداء والمتآمرين على وجودها .

إن كل هذا يقتضي من الشباب العربي أن ينظموا صفوفهم ، ويتولوا أمر أنفسهم وأن يقودوا – هم – المعركة . ولكن حذار من المثالية . إن تصفية الأقليمية واجب قومي حتى لا تجر أمتنا مرة أخرى للهزيمة والقتل والتدمير والألم والحزن والعار ، ولكن ليس الآن وقت تصفية الأقليمية . ليس هذا أوان البحث عما يجب أن يكون والتخلي عن الممكن المتاح ، إنمـا هو أوان استعمال الممكن إلى أقصى حدود إمكانياتنا لإنقاذ ما يمكن انقاذه. إن المعركة عامل ضغط قوي لتتخلى الأقليمية عن وجودهـا المحتضر ، وعودة الجمهورية العربية المتحدة بالذات عامل حاسم في قلب موازين المعركة ، ويمكن للشباب العربي أن يحقق من هذا وذاك ما تتطلبه إزالة آثار العدوان ، ورد الثقة إلى الجماهير

العربية في مقدرتها على تحقيق النصر من قلب الهزيمة . ولكنه على أي حال ليس أوان الانقضاض على الأقليمية وسحقها أو إسقاطها بما يتطلبه هذا من صراع في الجبهة العربية . كما أنه ليس وقت تلفيق وحدة عربية بمنطق الأقليمية والأقليميين تحت ضغط الخطر القائم لتنفصل بعد زواله . وغداً أو بعد غد ، طال الزمان أو قصر ، سيصفي الشباب العربي حسابه مع الأقليمية المدمّرة . أما الآن فلتكن الدول الأقليمية أدوات في أيدي الشباب العربي لتكون لهم المقدرة بعد تصفية آثار العدوان على تحطيمها . إن الدول الأقليمية — الآن — هي الأدوات المتاحة في معركة لا تزال محتدمة . فلتبق أدوات ولكن لتكن الإرادة للشباب العربي . إرادة الصمود . إرادة الاستمرار في المعركة . إرادة إزالة آثار العدوان . وليفرض الشباب العربي هذه الإرادة على الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين جميعاً . إن هذا يقتضي أن تتحول أيديهم المتعددة إلى قبضة ضاربة واحدة ، وأن تتجسد إرادتهم العديدة في أداة مريدة واحدة وأن تتكامل جهودهم في تنظيم قومي ثوري واحد يمثل إرادتهم ويفرضها .

فما العمل ؟

٥ — مرة أخرى — ودائماً — من الممكن إلى ما يجب أن يكون . من الواقع إلى المستقبل . إن التخلي عن الاشتباك مع العدو في المعركة التي تدور الآن لمحاولة خلق تنظيم قوي يحقق الوحدة ليتدارك ما فات مثالية عقيمة . إن كثيرين من الانهزاميين سيفرّون من المعركة بحجّة التحضير للجولة القادمة . إن هذا

هروب لأن الجولة القائمة لم تنته بعد والمعركة لا تزال مستعرة . وكل ما يتمناه اعداؤكم الآن أن تتخلوا عن الاشتباك معهم ولو عدتم إلى ما استنفدتم فيه وقتاً غالياً وبددتم فيه جهداً ثميناً: الحوار مع الأقليمية دولاً وأحزاباً وأفكاراً حول كيفية تجسيد وحدة الثوريين العرب في تنظيم قومي واحد . لقد كان على الشباب العربي — دائماً — أن يكفوا عن وهم الوصول إلى اتفاق مع الأقليميين من خلال الحوار . كان عليهم دائماً أن يعرفوا أن أحداً من أعداء الأمة العربية لن يسمح لهم راغباً بأن يوحدوا إرادتهم في تنظيم قومي واحد ، ليوحدوا وطنهم في دولة عربية واحدة . لقد كان ذلك وهماً قبل المعركة ، أما الآن فهوهروب من المعركة . إن واجب الشباب العربي الآن أن ينتظموا في كتائب مقاتلة ومناضلة في المعركة القائمة ، وأن تنسق الكتائب في كل منطقة جهودها لتنمو من خلال المعركة وفي حدود أغراضها : الصمود والاستمرار حتى تزول آثار العدوان . والساحة تقدم إلى الشباب العربي مهمات غير محدودة للنضال الذي يصهر إرادتهم ويصقل مقدرتهم ويدرب صفوفهم على النضال الجماعي المنظم في أسوأ الظروف . إن مهمة الشباب الغربي الآن أن ينصروا أمتهم في وضعها المهزوم . فلينتظموا عشرات في كتائب الأنصار وليشتبكوا مع أعداء أمتهم في كل المجالات المتاحة اقتصادياً وفكرياً ودفاعياً واجتماعياً ، وفي القتال المسلح إن عاد الاشتباك المسلح ، وبالعنف المدمر لكل مصالح أعداء هذه الأمة وعملائهم ، وهذه مهمة لن تنتهي حتى بإزالة آثار العدوان .

على كتائب الأنصار أن تنتظم وتتحرك معاً في وحدات متماسكة لتحرك الجماهير وتنظمها وتقودها إلى أن تكون القيادة في الوطن العربي للجماهير العربية . وليحذر الشباب العربي من الأقليمية في كل الظروف ، فهي غير أمينة على أسرار النضال الجماهيري . وهي هي التي ستتصدى غداً أو بعد غد لهؤلاء الشباب لتحول بينهم وبين الاستمرار في النضال المنظم . وليولد التنظيم القومي الثوري من تفاعل وتعاون والتحام كتائب الأنصار خلال المعركة فكذلك يملك الشباب العربي أسباب النصر النهائي حتى وهم في الوضع المهزوم .

وعندما تزول آثار العدوان ، عندما تسترد الأرض التي احتلت أخيراً — دبلوماسياً أو بقوة السلاح — سيبقى أثر لن تستطيع قوة على الأرض أن تمحوه أو أن تعوض الأمة العربية عنه : الألم والحزن والعار الذي أحاط بحياة جماهير أمتنا وحاول إذلالها في هذه الأيام السوداء . عواء الأطفال الأبرياء ، صراخ لأمهات الثكالى . استغاثة الآباء العاجزين . فزع الأخوة والأبناء في الصحارى والمدن والطرقات تحت نيران القوة الباغية . ثم دموع الرجال تحت ضغط العجز والمذلة والعار . نعم دموع الرجال . على الشباب العربي ألا ينسوا أنه في أسبوع أسود من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بكى الرجال من العرب كالنساء تماماً وهم يرون خنجر الأذلال في جسم أمتهم الحي ، وهي لا تستحقه ، وهم عاجزون عن دفع الذل عنها . ليست هناك قوة على الأرض — أيها الشباب العربي — قادرة على أن تمحو هذا

أو أن تعوّضه . ولكنكم قادرون .

فما العمل ؟

٦ — فليحذر الشباب العربي غده القريب . فغـــداً سيتفق الأعداء والأصدقاء والمحايدون ، سيتفق كثير من العرب وكثير من أعداء العرب ، سيتفق المتخاذلون والمنهزمون والمتآمرون ، ستتفق الدول الأقليمية الرجعية والتقدمية ، على أمر واحـــد . أمر واحد سيجمعهم مع إسرائيل ذاتها بالرغم من كل ما حدث هو أن يحملوا الشباب العربي على أن ينسى ما حدث . غداً سيدعم الأصدقاء صداقتهم سياسياً ومادياً وأدبياً وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن الأصدقاء المنقذين ، وعن الاعتراف بالجميل ، وعن سخافة الاستقلال والحياد في عالم يديره الكبار ، وعن خطأ عدم الانحياز ، وعن أكذوبة القومية . غداً سيحاول الكثيرون أن يقلبوا الصداقة إلى تبعية . وغداً سيعرض الأعداء والمتآمرون بضاعتهم ومعوناتهم ، ويمدّون إلى الأمة العربية أيديهم الغنية الملوثة بدماء أبنائها وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن التحالف مع الذين لم يخذلوا حلفاءهم ، عن التماس الرخاء عند القادرين عليه ، عن الاحتماء بمن لهم القوة القادرة على الحماية . وغداً ستحاول الأقليمية أن تخدع الأمة العربية مرة أخرى وستسمعون حديثاً لا ينتهي عن إعادة البناء الأقليمي وعن القوة الذاتية الأقليمية . غداً سيحاول الأقليميون دولاً ، وأحزاباً ، مثقفين وحكامـــاً ومرتزقة ، اشتراكيين ورأسماليين وانتهازيين ، أن يجهزوا الأمة العربية لـــلألم والحزن والعار مرة أخرى ، وأن يحضروا

عيون الرجال لمزيد من الدموع . غداً سيعودون إلى الجعجعة والأكاذيب والادعاء والنفاق وسيكون هـذا تحت شعار الإعداد لجولة أخرى . غداً ستحاول الأقليمية أن تحمل مسئولية أخطائها وتخاذلها وتآمرها لجماهير أمتنا العربية ولأبنائها في القوات المسلحة ، وتدنس شرف الأحياء بعد أن هدرت أرواح الموتى ، لتصبح الأقليمية بريئة فتبقى ممثلة لإرادة الجماهير وقائدة لها ولتختلق أسباباً جديدة لقهر الجماهير واستغلالها .وسيكون كل هذا تحت شعار الإعداد لجولة قادمة . وقد يأتي الغد بعد أن نكون قد رددنا اللطمة لإسرائيل واستردت القوات العربية الأرض التي اغتصبت أخيراً ، فتعود أصوات الطبول وأهازيج النصر ويتسابق المنافقون والانتهازيون والمرتزقة لوضع أكاليل الغار على الجباه التي عادت إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كأنها لم تذل جباه الشباب العربي في ذلك اليوم المشئوم .

غداً سيحاول الأصدقاء والأعداء والمحايدون ، ستحاول الأقليمية وتحاول إسرائيل ، بكل وسيلة مادية أو فكرية أو عسكرية أن يعودوا بالأمة العربية إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى يقبله الشباب العربي وينسى ما حدث . وعندما ترون – غداً – أن كل الجهود قد وصلت بأمتكم إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وأنها تحرضكم على قبوله فستعلمون علم اليقين أن كل ما حدث أخيراً ، وكثيراً من الأحداث العربية والدولية

التي مهدت له ، لم يكن مقصوداً به تدمير قواتكم أو قتل أخواتكم واخوانكم ، أو احتلال المزيد من الأرض المحتلة بل كان مقصوداً به – على وجه التحديد – إذلال أمتكم لكي تقبل الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو)١٩٦٧ أي أن تقبل الهزيمة فتقبل وجود دولة إسرائيل .

فليحذر الشباب العربي ، وليغضبوا وليضربوا ، وليسحقوا كل الذين سيحاولون غداً أن يستهينوا بأمتهم وشهدائها وآلامها وحزنها وعارها ، فيبيعوا كل هذا بالعودة إلى ما قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ويفرضوا عليهم وجود إسرائيل . إن اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى مثل الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو اليوم الذي سيواجه الشباب العربي مسئوليته القومية عن تحقيق غايته القومية : زوال دولة أسرائيل .

فما العمل ؟

٧ – على الشباب العربي أن يثبتوا أنهم قد استفادوا شيئاً من محنة أمتهم ، وأن يقدموا من وعيهم وصلابتهم ونضالهم عزاء للأمة العربية عن أرواح شهدائها . على الشباب العربي الذين يفلتون من الدمار والموت أن ينذروا ما بقي من حياتهم ليحولوا دون أن يتعرضوا هم ، أو يتعرض أبناؤهم للدمار والموت والعار مرة أخرى . وإذا كان الدمار والموت والعار قد أصاب الأمة العربية في يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فلتكن رسالة الشباب العربي ألا ترى الأمة العربية في تاريخها مثل

هذا اليوم مرة أخرى . وألا يبكي الرجال كالنساء مرة أخرى. وألا نستدرج إلى معركة لنكون ضحاياها مرة أخرى . وألا يخوض الأبناء والأخوة من القوات المسلحة معركة يقودها غيرهم مرة أخرى . لتكن رسالة الشباب العربي ألا يسمحوا مرة أخرى بأن يكون مصير الأحداث التي تدور على أرض وطنهم العربي الكبير معلقاً بإرادة غير إرادة الجماهير العربية . إذا كان الشباب العربي يريدون ألاّ ترى أمتهم يوماً كيوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فلتكن رسالتهم أن يحولوا دون أن يقع في تاريخ أمتهم يوم كيوم ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٧ . لتكن رسالتهم أن يحققوا لأمتهم الوجود السياسي الذي يفرض صداقته فلا يخذله الأصدقاء ويفرض مقدرته فلا يستهين به الأعداء ويفرض إرادته فلا يستطيع الأصدقاء والأعداء معاً أن يقرروا من أمره ما لا يريد . ويملك من القوة ما يحطم حاجز الحماية الذي تختفي وراءه إسرائيل ويزيل دولتها .

لتكن رسالة الشباب العربي أن يسقطوا الأقليمية ويقيموا دولة الوحدة .

أيها الشباب العربي .

أعدّوا من قلب المعركة لمسيرتكم القومية ، وعندما يأتي اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى الأمر الذي كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، لتبدأ مسيرتكم على الطريق إلى الوحدة العربية .

والسلام عليكم وعلى وطنكم العربي الكبير ، ورحمة الله على شهداء أمتكم الأبرياء وبركاته على نضالكم من أجل الوحدة ...

(٢٦ حزيران – يونيو – ١٩٦٧)

رسالة الى الشباب العربي ـــ ٢ ـــ

في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩

أيها الشباب العربي ،

السلام عليكم وعلى وطنكم العربي وبعد ،

فما العمل ؟

١ ـ انقضى عامان طويلان منذ هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ فتحولت فيها الهزيمة الغريبة إلى حياة كئيبة . وصدق ما توقعنا منذ عامين لأن النظرة القومية لا تخطىء أبداً . فمنذ اليوم المشئوم وإسرائيل ، دولة الصهيونية ، تحتل الأرض التي غزتها فأخلتها ممن أرادت من جماهيرنا العربية ، ثم استعمرتها بشرياً بمن نقلتهم اليها من الصهاينة المجرمين . ويعدون من القوة ما يعدون ، وهم يديرون معركتهم الدبلوماسية على أساسها الصهيوني الصريح بغير مناورة أو مغامرة . إنهم يعلقون أي حديث عن مستقبل الأرض التي احتلت على قبول الجلوس اليهم في مفاوضة مباشرة ، ولا يزيدون عن هذا حديثاً ، ويزيدون

عليه إصراراً . والمفاوضة كما نعلم وكما يعلمون ليست طقوساً بغير دين ، وليست شكلاً بغير مضمون ، إذ هي تعني التسليم بالوجود الإسرائيلي في الأرض العربية وهذا هو ما يبغون . ذلك لأنهم يعرفون كما يعرف القوميون من العرب أن المعركة بيننا وبين الصهاينة ما دارت ، ولا تدور ، ولن تدور « من أجل أرض وراء أو أمام خط الهدنة . لسنا نقاتلهم من أجل مدن أو صحارى . لسنا نقاتلهم من أجل مكاسب اقليمية . إنما نخوض ضدهم معركة غايتها أن تزول دولة إسرائيل . وفي سبيل هذا قد نخسر بعض الأرض . وقد نسترد بعضها . قد نتقهقر . وقد نتقدم . ولكن التقهقر لن يكون هزيمة . والتقدم لن يكون نصراً . لأن الهزيمة هي أن تبقى دولة إسرائيل ولو رمزاً في قرية ، والنصر أن تزول دولة إسرائيل . »

نعم « الهزيمة أن تبقى إسرائيل . أن نقبل وجودها إيان كانت حدودها . ولهذا فهم يعلقون أي حديث عن الحدود على أن نقبل هذا الوجود . وآية قبولنا أن نجلس اليهم في مفاوضات مباشرة . وعندما نقبل نكون قد استسلمنا وانتصرت إسرائيل لأن تلك هي الهزيمة كما تحددها طبيعة المعركة .

وما تزال الدبلوماسية بين الدول الصديقة بقيادة اتحاد الجمهوريات السوفيتية والدول العدوة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، دائرة على المستوى العالمي . والعالم ذاته ما يزال واقفاً على باب محادثات الدول الأربع (اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وفرنسا ، والمملكة

المتحدة) في انتظار أن تنتهي المباحثات الثنائية بين السوفييت والأمريكيين إلى تقرير ما يجب علـى العالم بعد هذا ، وعلـى أطراف النزاع ، أن يقبلوه ، أو أن ينفضّوا بدون قرار .

وفي العامين طفت على سطح الوطن العربي قطعـان من المتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين الذين قبلوا أن يعلقوا مصيرهم، ومصير فلسطين ، ومصير الأمة العربية على ما يدور في أروقة ودهاليز الأمم المتحدة ، وسلّموا مع المسلّمين بحق الدولتين ، الصديقة والعدوة ، في أن تخططا للبشر ولنا مصيراً تصوغانـه على ما تريان . وهما لا تريان إذ تريان إلا من خلال مصالحهما القومية . وهكذا تتابع طغمة ذليلة من العرب أخبار المباحثات وينتظرون منها في كل يوم أن تنتهي إلى قرار يفرض على أمتهم فيقول الذين ظلموا أنفسهم قد قبلنا ما لا طاقة لنا به مكرهين . نعم ، أيها الشباب العربي ، إن قطعاناً من المتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين ، ورعاتهم ، يعيشون اليوم على أمل وحيد لا يأمله غير العبيد : أن تضع الدولتان إتفاقاً مع الدولتين قراراً وأن تفرضاه على الأمة العربية وعلى إسرائيل . وقد رفضت إسرائيل . أما هم فينتظرون . أملهم أن يهزموا « بشرف » من الدول الأربع فلا يقال هزمتهم إسرائيل . ولكنهم على أي حال قد قبلوا الهزيمة وليس في الهزيمة شرف لو كانوا يعقلون .

أما الدول العربية الإقليمية فقد أنشأت فيما بينها حلف الخرطوم « لإزالة آثار العدوان » منذ آب (أغسطس) ١٩٦٧ وبعضها يبذل من ماله وبعضها يبذل من كلامه وبعضها يعدّ

للمعركة ما يستطيع من قوة . وأقصى ما تريد أيّ منها أن تعود الأرض التي فقدت اثر هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد أعلنت الدول الاقليمية أن تلك هي حدود معركتها ضد إسرائيل : أن تعود الأمور في الأرض المحتلة إلى ما كانت عليه قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ألم نقل من قبل ان هذا ما سيعلنون ؟ أو لم يطلبوا انسحاب إسرائيل من الأرض التي اغتصبتها أخيراً كشرط أولي للبحث في الحدود الآمنة للأرض التي اغتصبت أولاً ؟ بلى . تلك إذن مساومة خائنة ان صدقت الدول فيما تقول . وتلك مناورة فاشلة ممن يعولون على المناورات السياسية في معارك المصير . وجوهر الأمر أن الدول العربية الأقليمية في مأزق من طبيعتها الضيقة لا تعرف كيف تخرج منه وإن كان ثمة محاولة مخربة للإفلات والخروج . فالحلف العربي الأقليمي يجد نفسه على أرض صلبة وهو يدافع عن حقه في أرض « أوطانه » المحتلة .. فهو هنا مؤمن وواثق عنيد . ولكنه عندما يواجه قاعدة العدوان في فلسطين المحتلة تخذله منطلقاته الأقليمية التي تضع « فلسطين » خارج حدوده «الوطنية » . والجماهير العربية بالمرصاد . فهو لا يستطيع أن يتحدى الجماهير العربية فيخون قضيتها القومية جهاراً ويسلم بالوجود الإسرائيلي وإن كان ثمة من يخونون في الخفاء . وهو لا يستطيع أن يفلت من الحصر الأقليمي فيرفض لك الوجود ويخوض المعركة على أساس طبيعتها القومية ، وإن كان ثمة من يرفضون على استحياء ويناورون جميعاً على إرادة الغاصبين . فإن قبلت إسرائيل الجلاء

وعودة من يشاء من اللاجئين قبلنا وجودها وحدوده الآمنة ، وما دامت إسرائيل لا تقبل ما نقول فكأننا لم نقل ولم نقبل شيئاً . إنما هي مناورة نكسب بها الرأي العام العالمي بدون أن يصيبنا من ذلك ضرر ولو يسير . ويحاجون بقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ذي الصيغة « الإنجليزية » المدربة على المماطلة ، فهو يمتص الغضب ، ويثير الآمال الكاذبة ، وينقل المعركة إلى ساحات المناورات السياسية ، ليترك للزمان الضائع في فك رموز الألفاظ مهمة تثبيت الأمر الواقع . وهذا ما يفعلون . حجتهم في هذا أن قرار مجلس الأمن يعلق فقراته بعضها فوق بعض وأول فقراته الانسحاب من الأرض المحتلة والعودة إلى حدود ما قبل العدوان الأثيم . إن كان ذكاء فهو غير ذي مضمون . إذ تلك مقامرة عقيمة خاسرة . عقيمة ظافرة . فإن قبلت إسرائيل وعادت الأمور إلى ما كانت عليه فشلت المناورة وبقيت إسرائيل . وإن رفضت إسرائيل ظل الوضع كما هو وبقيت إسرائيل . ويتوقف الأمر بعد هذا على مقدرة الدول الاقليمية على تحرير الأرض التي فقدتها بعد هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . فإن استطاعت تحريرها استردتها وبقيت إسرائيل . وإن لم تستطع فقدتها وبقيت إسرائيل وهكذا تبقى الدول الاقليمية ، كما كانت دائماً ، عاجزة عن النصر في معركة المصير . والنصر أن تزول دولة إسرائيل .

إن كل ما تبذله الدول العربية الاقليمية من أجل العودة إلى حدودها مبارك في حدوده . لا تثريب عليها ولا على القوى

القومية في أن تدعمها « لإزالة آثار العدوان » ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . غير أن هذا لا ينهي المعركة ، ولا يغير طبيعتها . فسيبقى النصر العربي متوقفاً على زوال دولة إسرائيل ، ولن تقبل الجماهير العربية عن هذا بديلاً . ففيم المناورة ، وفيم المقامرة ؟ كسب الرأي العام العالمي ؟ .. لقد خسرناه يوم أن خسرنا المعركة فلنكسبه كما كسبه المناضلون في كل معارك التحرير . بالإيمان بالحق ، ورفض المساومة ، والكفاح المرير . ثم ماذا أنتم فاعلون لو كسبتم الرأي العام إلى الحد الذي تحلمون ، فاكره إسرائيل على أن تحقق لكم الفقرة الأولى وانسحبت إسرائيل ثم قال هاتوا ما عندكم من فقرات ؟ .. هل تقبلون غداً ما تعلنون اليوم وترتضون الوجود الإسرائيلي في حدود آمنة ؟ بأيّ حق ؟ أم تنكلون فتخسرون مغامرة ما كسبتم مقامرة ؟ اليس الحق أحق بأن يتبع أم أن الاقليمية قد سلبتكم الإيمان بأن لكم في فلسطين حق المواطن في وطنه السليب ؟ هو كذلك وتلك محنة الاقليمية ومأساتها .

غير أن العجز الاقليمي قد انقلب في عامين إلى تخريب غبي عندما شملت مناوراته وحدة الوجود القومي وطناً وبشراً . الاقليمية الجريحة ، المهزومة ، التي تكافح من أجل البقاء ، قد تجاوزت حدودها فكراً وحركة وأطلقت من مأزقها شعار الاقليمية : إن مسئولية تحرير فلسطين تقع على عاتق شعب فلسطين . إن هذا – أيها الشباب العربي – ليس تحريضاً للشعب العربي في فلسطين على القتال . إن المنطق القومي يوفر له أكثر

من هذا سبباً لتحرير الأرض السليبة بما يوفر له من إمكانيات النصر . والشعب العربي في فلسطين ، بعد ، صاحب الأرض المغتصبة ، وصاحب الحق في استردادها ، وعليه مسئولية تحريرها ، لأنه بعض الأمة العربية فهو مسئول عن تحرير بعض الوطن العربي ، أو لأنه شعب فلسطين المحتلة فهو مسئول عن تحرير وطنه . يستويان محرضاً على القتال . ليس هذا إذن ما يريد الاقليميون . ذلك أنهما يفترقان فيما يتصل بقوى تحرير فلسطين . فالمنطق القومي يحمل مسئولية تحرير فلسطين للجماهير العربية في كل مكان بما فيه فلسطين . أما المنطق الاقليمي فيفتح باب الهروب من المسئولية أمام الاقليميين من غير فلسطين . وهذا ما يريد الاقليميون . ويفترقان فيما يتصل بساحة المعركة . فالمنطق القومي يحدد فلسطين ساحة لمعركة التحرر العربي فلا يقبل أن يتخلى عنها من أجل الحفاظ على أي إقليم . أما المنطق الاقليمي فيبرر التخلي عنها إن كان فيها خطر على الاقليم . وهذا ما يخافه الاقليميون . ويفترقان في مدى معركة تحرير فلسطين . فالمنطق القومي يأخذ منها منطلقاً ثورياً إلى دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية . دولة المناعة ، دولة الرخاء ، دولة الحرية . أما المنطق الاقليمي فينتهي بها عند إضافة دويلة أخرى إلى الدول الاقليمية ، تكون دعماً للوجود الاقليمي ، وتثبيتاً للتجزئة ، وعقبة في سبيل الوحدة . وهذا ما يتمناه الاقليميون . إنهم إذ يرفعون شعار الاقليمية على رايات المعركة لا يحرضون على القتال ، إذن ، بل يفتحون معركة ضد القومية .

معركة جانبية .

لقد كان على الاقليميين أن يلتزموا ضرورات المرحلة فيقصروا مناوراتهم على استرداد الأرض التي فقدوها . لا أحد يطالبهم بأكثر من هذا . وفي هذا تساندهم كل القوى العربية القومية . إن ضرورة النصر على العدو المشترك كفيلة بأن ترجىء الصراع بين الحركة القومية والتحركات الاقليمية إلى أن تتحرر الأرض المحتلة لنرى بعد هذا لمن تكون الأرض التي تحررت، ألللأمة العربية أم للاقليمية في فلسطين . وقد التزمت القوى القومية ما وعت من ضرورات المعركة فصمدت وصبرت وما تزال صامدة صابرة على استفزازات الاقليميين . ولكن الاقليمية مستغلة وانتهازية بطبيعتها . فها هي تحاول أن تفتح معركة ، ولو فكرية ، في جبهة القوى الموحدة ضد الصهيونية . ها هي تحاول أن تستغل المعركة لتكسب لمنطقها المخرب أرضاً جديدة باسم المعركة : ها هي تلقي على الشعب العربي في فلسطين وحده مسئولية المعركة الضارية ضد إسرائيل . إسرائيل دولة الصهيونية العالمية وأداة الامبريالية العاتية . فانظروا لو انهزم الذين يجسدون فيهم فلسطين الاقليمية ؟ عندئذ يقولون كما قالوا بعد سنة ١٩٤٨ : خذل شعب فلسطين قضيته وما كنا إلا رديفاً مساعداً فنحن غير مسئولين . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا . وهل تركوا للجماهير العربية ، في أي مكان، وفي أي زمان ، وحتى الآن ، فرصة التصدي لحمل مسئولية قضاياها ؟ فليتركوا ان كانوا صادقين .

إن الذين طردوا من أرض فلسطين وفقدوا فيها المال والبنين والأمل في حياة أفضل ، والذين يعيشون مقهورين تحت وطــأة البغي الصهيوني في الأرض المحتلة ، أولئك لهم في القتال حياة ولا يملكون دون هذا خياراً . لهذا كان الشعب العربي في فلسطين أكثر المناضلين بلاء في الحرب ، وصبراً على القتال ، وعزماً على النصر ، وتلك خصائص تحيل الناس طلائع ثورية. كذلك كان الشعب العربي في فلسطين مرشحاً ليكون الطليعة الثوريــة في حرب التحرير العربية . إلا أن هذا ليس هوية اقليميــة . فحيث تكون ساحة المواجهة يكون الطليعيون . ولا يغير هذا من طبيعة المعركة ضد الصهيونية ودولتها إسرائيل فيقلبها من معركة التحرير العربي في فلسطين إلى معركة التحرير الفاسطينية. كلا . إنها معركة الأمة العربية . على هذا الأساس وحده تتحدّد قوى المعركة ، وتتحدد ساحتها ، وتتحدد غايتها . وعلى هذا الأساس وحده ، وليس على غير هذا الأساس ، سيتحقق النصر العربي في فلسطين وتزول دولة إسرائيل . أما « إزالــة آثار العدوان » فهي خطوة . وهي خطوة مشتركة . ومن أجل النصر فيها يحافظ القوميون على وحدة القوى ، ويصبرون عــلى استفزازات الاقليمية وتخريبها الغبي ، ويتعاونون معها ضــد العدو المشترك . وغداً ، بعد النصر ، سيكون يوم الحساب . وإن غداً لناظره قريب .

٢ ــ وهكذا في عامين نضح كل إناء بما فيه ، وأعطى الأصدقاء والأعداء والمتآمرون والمتخاذلون كل ما عندهم . ولم

يتغير شيء . وأعطت الاقليمية كل ما استطاعت . ولم يتغير شيء . فما يزالون جميعاً في المواقع التي دفعتهم اليها الصهيونية في نهاية الأسبوع الأسود من حزيران (يونيو) ١٩٦٧.والحياة تزداد مرارة .

فما العمل ؟

٣ – قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كانت بعض الدول العربية قد نسيت فلسطين . وكان بعضها يخطط لتفادي معركة متوقعة ضد إسرائيل دولة الصهيونية . فرفع المخططون شعار « حرب التحرير الشعبية » وأتاحوا لبعض الراغبين من أبناء الشعب العربي في فلسطين أن ينتظموا في مجموعات تعدّ نفسها للقتال . وسمعنا حينئذ عن منظمات للفدائيين . لم يكن ثمة شك في نوايا الشباب ، ولكن نوايا المخططين كانت موضع شك كبير . وآية هذا أن جهداً ما ، أي جهد ، لم يبذل ولم يخطط ، لا لمساندة الشباب المقاتل فهذا كثير ، بل حتى لتأمين قواعد تدريبهم وانطلاقهم وعودتهم . أعلنت بعض الدول العربية معركة التحرير الشعبية بأكبر قدر من الصخب والضجيج ، وأتاحت لبعض الشباب أن يعدوا أنفسهم للقتال قدر ما يستطيعون ، وما كانوا يستطيعون غير القليل ، ثم لم تفعل شيئاً وآثر الحاكمون أن يختفوا وراء جدار من الشباب المناضلين واهمين بأنهم في مراكزهم وراء الطلائع في مأمن من القتال وغير مطالبين به . وأنذرت إسرائيل بأنها لن تسمح لمنظمات الفدائيين بفرصة النمو أو التكوين وانها معاقبة الحكومات التي

تختفي وراء الفدائيين . وكان ذلك إنذاراً لا تخفى دلالتـــه ، فإن تكوين ونمو منظمات الفدائيين كان يعني أنه قد تملك الأمة العربية فيهم قوة جماهيرية ضاربة غير مقيدة بقيود الاقليمية . ونفذت إسرائيل وعيدها في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .وقبل مضي أسبوع واحد كانت الهزيمة قد حلت بالقوى الأقليمية بعد أن فقدت مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء . لقد قيل الف مرة ان إسرائيل كانت تستهدف إسقاط نظم الحكم ذات الاتجاهات التقدمية الاشتراكية . وقد يكون هذا من بين أسباب التحالف العدواني بين الصهيونية والامبريالية ، على أن تكون التقدمية مساوية للقومية وعلى ألا تكون الاشتراكية على حساب الوحدة . وبعيداً عن هذا لإسرائيل مخططات عدوانية استراتيجية تبغي من ورائها أن تقوم لها دولة ما بين الفرات والنيل . نحن إذن لا نفتقد أسباباً كثيرة للعدوان الصهيوني . ومع هذا فإن أول ما كانت تستهدفه إسرائيل في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو سحق تلك النواة ، بل بذرة النواة ، التي كانت تحملهـــا رؤوس الفدائيين : كانت تستهدف القضاء منذ البداية عـــلى اتجاه جديد ، كفيل في النهاية بأن يمحو إسرائيل . كانت تستهدف أن تحول بين الأمة العربية وبين أن تخوض معاركها بقوتهـــا الجماهيرية القومية ، المتحررة من الحصر الاقليمي . بـــذرة ناشئة لو نمت نمواً صحيحاً لامتصت الحياة من إسرائيـــل . واتجاه في أوله لو امتد مستقيماً لدكت أقدام المناضلين فيه الوجود الإسرائيلي في فلسطين . فمن أجل تأمين وجودها قبل أن تتحول

البذرة إلى نواة ثم تنمو ، ومن أجل إرغام العرب على الاعتراف بهذا الوجود قبل أن يتحول الاتجاه إلى حركة ثم ثورة ، حاربت إسرائيل معركة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٧ . .

فهل حققت ما أعلنت واستهدفت ؟

أما العقوبة فقد تمت . أما عن الأمة العربية ممثلة في تلك الحفنة من الشباب الذين كانت كل مميزاتهم أنهم لا ينتمون إلى دولة اقليمية ، فانظروا الروعة والبطولة وأصالة أمتكم العربية ومقدرتها عندما تفلت قواها من أسر الاقليمية . هرب المختفون وراء الجدار تحت وطأة اللطمة الباطشة ، وانجلت المعركة فإذا ببذرة المقاومة العربية الجماهيرية ، المتحررة من الانتمـــاء إلى دولة اقليمية ، هي وحدها التي تستمر في القتال فلا تقبل ولا تنفذ قرار إيقاف إطلاق النار . ثم إذا هي تنمو وتتعاظم فتصبح هي وحدها الطرف الإيجابي في القتال المستعر على الأرض المحتلة. وإذا هي وحدها التي تكسب ، بدون مناورة أو مقامرة ، الرأي العام العالمي .

في لحظة تاريخية حاسمة ، كانت كل الظروف العالميـــة والاقليمية ، المادية والبشرية والنفسية ، تنبىء بأن البذرة الناشئة قد أحرقت في نيران المعركة القصيرة ، وأن الاتجاه الجديد قد دفن تحت جحافل المدرعات ، قهرت حفنة مؤمنة من الشباب العربي الظروف القاسية وخرجت من المعمعة المفاجئة أكثر نمواً وأكثر صلابة وأكثر مضاء .

وفي الوقت ذاته ، في يومين حاسمين من شهر حزيران

(يونيو) ١٩٦٧ كانت كل الظروف العالمية والاقليمية ، المادية والبشرية والنفسية ، تنبيء بأن الأمة العربية قد سحقتها الهزيمة المذهلة ، وأنها إذ فقدت دولها وجيوشها وأعز أبنائها ، وبعض أرضها لا بد خاضعة ومستسلمة . فما الذي حدث ؟... من بين دخان المعركة الأسود ، ومن ذات المواقع المتردية التي انهارت فيها الاقليمية ، خرجت الملايين من جماهير الأمة العربية ، الذين لا يملكون حينئذ إلا اصالتهم وإرادتهم ، فسدوا سبل التراجع والنكوص وفرضوا الثبات والصمود والمقاومة .

تلك هي جماهير الأمة العربية. من الحفنة المناضلة الى الملايين الصامدة .

ولكنها لم تكن مجرد جماهير . كانت جماهير متحررة من قبضة الاقليمية، وتلك هي منابع المقدرة التي لا تهزم . فإن ماروا في هذا فاضربوا لهم مثلاً ذات الجماهير منظمة في إطار الاقليمية .. هل استطاعت أن تفعل شيئاً لتحول دون أن تستدرج إلى المعركة الخاسرة . بل هي استطاعت ، وهي محشودة تهتف وتصفق ، أن تعرف شيئاً عن الطريق التي كانت مسوقة اليه هاتفة مصفقة . أبداً . كانت جماهير سلبتها الاقليمية المسيطرة حتى إمكانيات معرفة المصير المسوقة اليه . كانت جماهير مسلوبة الإرادة داخل جدران سجن الاقليمية . فلما أن تصدع الجدار وأفلتت الجماهير من سجنها استردت أصالتها، وإرادتها، وواجهت الأعداء والمتخاذلين عملاقة لا تخضع ولا تهزم ولا تلين . واضربوا لهم مثلاً « منظمة التحرير الفلسطينية » . فمن

قبل ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بسنين تمخضت مؤتمرات القمة فولدت ما أسماه آباؤه « الكيان الفلسطيني » وجسدوه في منظمة التحرير الفلسطينية . والكيان الفلسطيني كما صاغه مؤتمر القمة وكما جسدته المنظمة هو دولة فلسطين الاقليمية بدون اقليم . والمنظمة جماهير وقواعد وكوادر وقوى وقيادات وأحمد الشقيري . لقد كانت أكثر عدداً وأوفر عدة من أية منظمة جماهيرية في الوطن العربي . وملأ الشقيري الأرض ضجيجاً ، وصال وجال ولكن داخل أسوار الحصر الأقليمي التي فرضتها الطبيعة الأقليمية لنشأة المنظمة . كانت المنظمة أسيرة ولاءها للأقليمية العربية التي أنشأتها ، ولم تحقق المنظمة من أهدافها المعلنة شيئاً . ولم يهتم أحد بما ادعت تحقيقه . ولم تحرك إسرائيل ساكناً . ذلك لأن الأقليمية تشل مقدرة الجماهير ولو كانت في منظمات ذات قواعد وكوادر وقوى وقيادات . فإذا بالجماهير في قيود الأقليمية عاجزة عن أن تكون خطراً عاجلاً أو آجلاً على إسرائيل . أما عندما اجتمعت في تاريخ معاصر لنشأة « منظمة التحرير الفلسطينية » حفنة من الشباب كل مميزاتها أنها لم تكن تنتمي إلى أية دولة اقليمية ، فهي جماهيرية خالصة ، انتبهت اسرائيل فوراً إلى ما تمثله تلك المبادرة من خطر على وجودها ، ولو في المدى الطويل ، فتوعدت ، ثم قاتلت حتى لا يكتمل الخطر نمواً .

ليس أعداؤنا من الأغبياء . فإن كانوا لا يستشعرون الخطر على وجودهم من الدول العربية الاقليمية ، ولا من المنظمات

الجماهيرية الاقليمية ، فلأنهم يعرفون أن الاقليمية ليست خطراً على ذلك الوجود .. وإن كانوا يخشون حتّى الموت الجماهير العربية المتحررة من قيود الاقليمية فلأنهم يعرفون كما نعرف أن تلك الجماهير هي التي ستقضي عاجلاً أو آجلاً على دولة إسرائيل .

٤ — في عامين إذن يبدو أن قد تغير شيء جوهري في الوطن العربي ، وأن قد انبثقت من قلب المعركة قوة جماهيرية متعاظمة الطاقة والإمكانيات والفاعلية . وكأن الأمة العربية قد وضعت قدمها على أول طريق النصر . ولكن ما الذي يحدث الآن — بعد عامين — في صفوف أبطالنا المناضلين ؟ البذرة أصبحت بذوراً. والاتجاه أصبح اتجاهات . والاقليمية المخرّبة تدسّ سمومهـــا . ويبدو أن قوى الأعداء تريد أن تقطع أوصال شجرة المقاومة الجماهيرية بعد أن فشلت في سحق بذرتها . ويبدو أنها تريد أن تستدرج الاتجاه المستقيم إلى مسالك مرتدّة بعد أن فشلت في إيقافـــه .

اليكم ما حدث .

٥ — في الساحة منظمات تابعة لبعض الدول الاقليمية . أو أن إلى الساحة امتدت أصابع الدول الاقليمية في شكل منظمات ترتدي ملابس الفدائيين على أجساد الموظفين. والموظفون ملتزمون بأن يقولوا ويفعلوا أو أن يكفوا عن القول والفعل طبقاً لماتقرر حكوماتهم . اليس غريباً أن دولاً لها حكومات وجيوش وقادة وأموال ولها جبهات مشتركة مع العدو أو أن الجبهات المشتركة

مفتوحة لها إن أرادت ، تتلصص في القتال وتستغل إخلاص بعض الشباب المناضلين وحاجتهم إلى ما عندها من مال وسلاح ، لتفرض عليهم أن يكونوا ممثلين لها في ساحة النضال الجماهيري المسلح في الوقت الذي تعفي قواتها المسلحة من عناء القتـــال ، ويحتفظ البعض بها « شرطة » لحراسة مقاعد الحكم ؟.... وما الضرر ما دامت الحصيلة أن شباباً قد وجدوا عدة القتـــال في الساحة ؟ .. الضرر أن هؤلاء الشباب سيجدون أنفسهم ، أرادوا أم لم يريدوا ، منفذين إرادة الدول التي ربطتهم اليها بالمـــال والعتاد وتولت قيادتهم من بعيد عن ساحة المعركة . الضرر أنهم سوف يضربون متى أرادت ويكفّون عن القتال متى شاءت ، سواء اقتضت ظروف المعركة هـــذا أم لم تقتضه . الضرر أن فصائل من الشباب المناضلين سيتحركون في ساحة القتال الخطير في مسالك ترسمها لهم الدول الاقليمية ، فإذا هم فصائـــل متعارضة ، متناقضة ، متصادمة ، وإذا بالتجزئة الاقليمية التي فتكت بوحدة الجماهير العربية ، تنتقل بكل سلبياتها المخربـــة إلى صفوف المقاومة لتفتك بوحدة المقاتلين .

وفي الساحة منظمة ذات مقدرة متعاظمة . إنها « فتح » . الجسم النامي لتلك الحفنة الرائدة من الشباب الذين غالبوا الظروف القاسية فغلبوها فخرجوا من بين أنقاض المعركة الخاسرة منتصرين لمقدرة الجماهير العربية انتصاراً تاريخياً . إن ذلك الانتصار قد ربط بين « فتح » المنظمة وبين ملايين الجماهير العربية التي انتصرت في يومين حاسمين من شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧

في سد طريق التراجع . كل كان مثلاً للصمود العربي بطريقته بينما الاقليمية منهارة انهياراً شاملاً . وبهذا الرباط أصبحت منظمة « فتح » أملاً تتطلع الجماهير العربية اليه ، أو أصبحت عند الجماهير العربية أملها الخاص في المستقبل المنتصر . ومنحت الجماهير العربية منظمتها « فتح » كل التأييد بلا حدود . وتحت ضغط هذا التأييد الجماهيري الواسع استحقت « فتح » كل الدعم الذي أعطي لها مادياً ومالياً ودعائياً . واستحقت ما كسبت من اعتراف العالم بها قوة ثورة تحريرية ، واستحقت ما كسبت من اعتراف الدول العربية بها قيادة جماهيرية .

ولكن « فتح » النامية في أحضان الجماهير العربية كانت تمثل خطراً نامياً في اتجاهات عدة . كانت تمثل أولاً خطراً عاجلاً على الوجود الإسرائيلي بما هي قادرة عليه من إنهاك لهذا الوجود حتى تتولى الأمة العربية الإجهاز عليه . ثم كانت تمثل ، ثانياً ، خطراً آجلا على الدول الاقليمية . ذلك لأن « فتح » النامية ، المتطورة خلال تفاعلها مع الجماهير العربية الواسعة ، كانت قابلة لأن تصبح نواة التنظيم القومي الثوري الذي تفتقده الأمة العربية منذ زمن طويل ، والذي كان غيابه من الساحة في السنوات السابقة على ١٩٦٧ السبب الأساسي في الهزيمة المرّة . كانت « فتح » مرشحة تاريخياً لأن تصبح تنظيماً عربياً ثورياً ، قومي العقيدة ، قومي المنطلق ، قومي القيادة ، قومي القوى ، قومي الغاية ، لا تتوقف مسئولياته عند تحرير فلسطين بل يمضي حتى يقيم في

الوطن العربي المتحرر ، وعلى أنقاض الاقليمية ، دولة الوحدة الاشتراكية . كذلك كانت « فتح » في أذهان الجماهير العربية التي منحها تأييدها بدون حدود . وكذلك كانت « فتح » مرشحة تاريخياً لأن تكون . وهو ما كان يعني أن « فتح » تمثل خطراً على الاقليمية ولو بعد حين . لا ينفى هذا أن « فتح » قد آثرت أن تتعامل مع الدول العربية ، وأن تقبل دعمها وتطلبه ، وألا تثير مع أي من تلك الدول معارك جانبية . ذلك لأن هذا موقف سليم تماماً في هذه المرحلة ومبرر قومياً بغير شروط سوى القومية، وقد قدمت الدول العربية إلى منظمة « فتح » كل الذي استطاعته من دعم وتأييد .

غير أن اهتمام الدول الاقليمية لم يكن مقصوراً على « فتح » اليوم بل على « فتح » الغد . « فتح » كما تتطلع اليها الجماهير العربية طليعة للثورة العربية الشاملة . وتعرضت المنظمة الناشئة — خلال عامين — لكل أنواع الضغوط والمناورات السياسية . مثلاً كان وجود « فتح » بعد اختبار القوى في معركة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ قد ألغى — بكل منطق — وجود « منظمة التحرير الفلسطينية » التي أنشأتها الأقليمية العربية . وكانت ظروف المعركة تقتضي هذا الإلغاء ووضع كل ما تملك «منظمة التحرير الفلسطينية » من مال وعتاد وقوى وبشر تحت تصرف « فتح » بدون شروط . وكان ذلك كفيلاً بأن يوفر « لفتح » قدراً كبيراً من حرية الحركة في مواجهة الأعداء وفي مواجهة الدول الاقليمية . إلا أن الاقليمية كانت أكثر من هذا دهاء

وحنكة . فأرادوا في سنة ١٩٦٨ أن يجعلوا من « فتح » تابعاً للمنظمة . ورفضت « فتح » حينئذ أن تدخل الشرك الاقليمي . فعادوا في سنة ١٩٦٩ وأقنعوا « فتح » بأن تتولى قيادة المنظمة. وقبلت « فتح » أن تحمل على كاهلها الناشىء ميراث الاقليمية الفاشلة . لقد كانت « فتح » أمام اختيار تاريخي وقد اختارت وهي مسئولية تاريخية . ولكن هل تركت الاقليمية لمنظمة «فتح» فرصة الاختيار ؟.. هذا سؤال تاريخي أيضاً . لقد عرقلوا انطلاقتها أولاً ، ثم أوقفوها أمام خيار دقيق ثانياً ، ثم حسموا الخيار لصالح الإقليمية أخيراً . وبدلاً من أن يتركوا المنظمة الجماهيرية الناشئة تكمل صياغتها من خلال الواقع الموضوعي لمعركة تحرير فلسطين ، يقيناً منهم بأن الواقع الموضوعي سيصوغها صيغة قومية ، جردها الإقليميون من إمكانية التطور حتى لا تكون خطراً عليهم ، فأحالوها منظمة تحرير فلسطينية . وإن كان الأمر لم يخرج بعد من يد المناضلين في « فتح » فكما تحدوا في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كل حسابات الأعداء هم قادرون اليوم على تحدي كل حسابات الحلفاء .

وما الضرر ما دامت « فتح » في الساحة تقاتل بقوات « العاصفة » لتحرير فلسطين ؟ لا ضرر إلا أن قوى مناضلة قد آثرت أن تعمل في الساحة بعيداً عن « فتح » بعد أن كانت منها . لا ضرر إلا أن الجماهير العربية قد عادت إلى بداية الطريق تبحث عن نواة تنظيمها القومي المفتقد . لا ضرر إلا أن مولد الثورة العربية الشاملة قد تأخر سنين . لا ضرر إلا أن

« فتح » ستجد نفسها في نهاية المطاف وقد خذلتها الاقليمية في مواجهة ذات الخيار من جديد ، فإما أن تتمرد على الأقليمية وإما أن تقبل الخذلان . لا ضرر إلا أن « فتح » ستجد نفسها ، غداً أو بعد غد ، أمام خيار آخر ، فإما مع القوى القومية في ثورتها الوحدوية وإما ضد الوحدة في دولتها الفلسطينية . هل يكفي هذا ضرراً ؟ .. إذا كان لا يكفي فما الذي أصابته «فتح» من أن تكون منظمة تحرير فلسطينية بدلاً من أن تكون طليعة ثورية عربية ، حتى مع التسليم بأنهما تستويان مرحلياً في معركة تحرير فلسطين ، إلا أنها قد حدّت مقدماً — وبدون مبرر — طاقتها ، وقيدت مقدماً — وبدون مبرر — مدى انطلاقتها ؟ انظروا إلى « فتح » النامية كيف نمت ؟ من أية مصادر مباركة تستمد قوتها المادية والبشرية النامية ؟ أمن الأمة العربية أم من فلسطين ؟ لماذا إذن « الفلسطينية » ؟ إن تكن حذراً من الدول الاقليمية فتلك فطنة مبررة . ثم افتحوا الأبواب لتأخذ الجماهير العربية مكانها من القواعد إلى القمة . وادعوا دعوتكم القومية بدون خشية . فإن كنتم تخشون القومية فتلك مزالق خطرة . وإن كنتم تخشون الناس وتخفون ما بأنفسكم فتلك أخطاء مكررة .

وفي الساحة كانت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ثم انشقت جبهات ثلاثاً . لماذا لا نقول تصدعت الجبهة ؟ هو كذلك فانظروا إلى التخريب كيف يكون . طوال عامين كانت تلك الجبهة فائقة الجرأة ، قد اهتدت إلى أن الصراع ، وإن كان يدور على أرض فلسطين ، إلا أن المعركة أوسع من هذا وأشمل .

إنها معركة بين الأمة العربية وبين الصهيونية العالمية تمتد ساحتها إلى كل مكان في الأرض أو البحر أو السماء وتشمل قواهـــا كل العرب وكل الصهاينة أيان وجدوا في فلسطين أو في خارج فلسطين . انطلاقاً من هذا الوعي الفذ ، وبمقدرة وشجاعـــة أسطورية ، راح المناضلون في الجبهة يطاردون الصهاينـــة في السماء وفي الأرض حتى قلب أوربا . وفرضوا على العالم المستهتر بالحق العربي جدية المقدرة العربية . وأشاعوا أكبر قدر من الرعب في قلوب الصهاينة عندما أحالوا كل الأرض إلى مواقع خطر محتمل لا يعرف أحد متى يجيء . وأجبروا الإسرائيلين على أن يتجولوا في العالم تحت حراسة مسلحة . ثم ان « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » كانت تعتمد إلى أقصى حد على مقدرتهـــا الذاتية تمويلاً وإعداداً وقوى . وبالتالي كانت أكثر المنظمات مقدرة على حرية الحركة . أي كانت أكثر المنظمات بعداً عن متناول الاقليمية . فلماذا تصدعت الجبهة ؟

..... لأسباب إما جهنمية وإما غبية .

فقد شاءت فئة من المثقفين الثرثارين الذين يريدون أن يكونوا أبطالاً على حساب المناضلين أن يثيروها حرباً طبقية ، فشقوا الصفوف باسم الماركسية . لماذا الماركسية ؟ لأن الماركسيين في كل العالم هم القوة العالمية الرئيسية التي تقف معنا في معركتنـــا ضد الصهيونية والامبريالية . لأن الدول الاشتراكية الماركسية وعلى رأسها اتحاد الجمهوريات السوفيتية هي المصدر الباقي للدعم المادي والسياسي الذي نحتاج اليه ، وهي تمنحنا إياه بسخاء غير

منكور . وعندما تختار فئة من المثقفين الثرثارين أن تشق صفوف المقاومة ، وتضعف المقدرة المتفوقة « للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » باسم الماركسية ، فإنها تحاول أن تضعنا أمام أمرين : إما مباركة الانشقاق وإما إدانة الماركسية ، وكلاهما متناقض لمقتضيات النصر في معركة التحرير ، وكلاهما منزلق خطير .

انتبهوا ايها الشباب العربي فلا يستدرجنكم احد الى معركة مفتعلة ضد الماركسية . ونحن نُستدرج ونخطيء ونخذل قضيتنا ان توهمنا ان كل مدّعٍ للماركسية في وطننا العربي ماركسي حقاً . و ليس ثمة طريق لنحصن انفسنا ضد الاستدراج ولنكون قادرين على فرز الماركسيين حلفائنا في معركة التحرر العربي من منتحلي الماركسية غطاء للاستعمار الصهيوني في فلسطين او غطاء للهروب من المعركة الا ان نقيس موقف هؤلاء وهؤلاء على الالتزام الماركسي في قضايا التحرر القومي كما تحددها المفاهيم الماركسية الاصيلة . أي أن نأخذ الماركسية كما هي مقياساً لمعرفة الماركسيين حقاً ثم ندع للمناضلين في الساحة الملتهبة وبين الجماهير المكافحة من اجل النصر ان تجيب على السؤال الخطير : اذا كانت الفئة الثرثارة من المثقفين العرب تدعو الى شق الصفوف باسم الماركسية وكانت الماركسية تدعو الى وحدة الصفوف فما حقيقة ما يدبرون ؟

لقد انشقت ، أو تصدعت ، « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » لأن فئة في قيادتها ترى ان البورجوازية الصغيرة في الوطن العربي هي المسئولة عن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧

وأن على المقاومة ان تطرد البورجوازية الصغيرة من صفوفها وان تتحرر من القومية لتكون « بروليتارية » خالصة حتّى تكون قادرة على النصر. أو هكذا يقولون.

فماذا يقول اساتذة الماركسية ، وقادة النضال الماركسي ، عن الموقف الصحيح من الطبقات والصراع الطبقي في معارك التحرير ؟.

٦ – منذ سنة ١٩٢٠ قال لينين : « ان الامبريالية لا تقهر العمال في بلادها فقط بل تقهر البورجوازية في البلاد الصغيرة ايضاً » . وقال : « ان البورجوازية القومية في كل امة مقهورة ذات محتوى ديمقراطي عام موجه ضد العدوان الخارجي واننا لنؤيد هذا المحتوى تأييــداً غير مشروط » . وقال : « ان البورجوازية الغربية في حالة انحدار ، اما في آسيا فبالعكس . فهناك لا تزال البورجوازية قادرة على ان تخوض الصراع الصلب المخلص من اجل التحرر » .

ويقول فقهاء الماركسية في الاتحاد السوفييتي الآن : « ان القهر الاستعماري الذي يمارسه الامبرياليون تقع وطأته ، على خلاف في الدرجات ، على كل قطاعات الشعب تقريباً في الدول المحتلة ، ويدفعهم الى الكفاح من اجل التحرر . فانطلاقاً من مصالحهم الحيوية لا تستطيع الطبقة العاملة والزراع وقطاعات هامة من البورجوازية المحلية ان يقبــلوا حكم الاحتكارات الاجنبية المسئولة عن الاغتصاب القاسي لموارد الثروة الطبيعية وعن الجوع والفقر وكل اسباب القهــر . وحتّى لو استطاع

الامبرياليون ان يجدوا نوعاً من التأييد في تلك البلاد فان هذا لا يتمثل الا في حفنة من رؤساء الاقطاع الذين تستند قوتهم الى اسنة الرماح الاجنبية ومجموعة طفيلية من البورجوازيين الكبار الذين يحصلون على ارباحهم من التعاون مع الاستعمار . اما الاغلبية الساحقة من الشعب في المستعمرات فتتعاطف مع الكفاح من اجل التحرر او تساهم فيه مساهمة مباشرة » . ويقولون : « ان أكثر المواقف تناقضاً بالنسبة لحركة التحرر هو موقف البورجوازية ... ان الفئات المختلفة من البورجوازية لا تقف من حركة التحرر مواقف مختلفة فحسب بل ومتناقضة تماماً ايضاً . فالفئة الرجعية العليا البورجوازية ، والبورجوازية الكومبرودورية المتصلة بالاستعمار ، تكون عادة في موقف عدائي مع القوة الوطنية . وتشكل هذه الفئة من البورجوازية مع الإقطاعيين من ملاك الأراضي الذين يهمهم الحفاظ على امتيازاتهم مجموعة تعتمد على سيطرة الامبريالية في المستعمرات . أما الذين يطلق عليهم اسم البورجوازية الوطنية فإنهم يأخذون عادة اتجاهاً مختلفاً ، فهم كقاعدة يستثمرون رؤوس أموالهم في الصناعة وعلى هذا فلهم مصلحة في أن يخلقوا ويسيطروا على السوق الوطنية وأن يدافعوا عنه ضد جشع الاحتكارات الأجنبية . وهم يرون أن السبيل إلى تحقيق هذا هو إقامة دولة قومية متحررة من الاستعمار الأجنبي ... ويقدر الماركسيون لهذا القطاع من البورجوازية نضاله الوطني ويدعمون كفاحه ضد الرجعية والامبريالية من أجل التحرر الوطني والاستقلال . ويقولون :

« إن القومية في البلاد المحتلة والمستعمرة تعكس محتوى ديموقراطياً سليماً لحركات التحرر الوطني ورفض الجماهير للقهر الامبريالي والكفاح من أجل التحرر والإصلاح الاجتماعي » ويقولون : «إن الوعي القومي في بلاد آسيا يتكون خلال الكفاح ضد الامبريالية والإقطاع . ويؤدي هذا إلى إيقاظ الجماهير من سبات القرون الوسطى والكفاح ضد الاستعمار والتخلف والعبودية . إن كل هذا يعطي القومية في الشرق المعاصر محتوي ديموقراطياً تقدمياً . ويشكل الوعي القومي المرحلة الأولى من الوعي التحرري خاصة بالنسبة لملايين كثيرة من الفلاحين . إن الماركسيين — اللينينيين ينظرون إلى هذه القومية على أساس أنها مبررة تاريخياًويستطيعون أن يدعموها وضمائرهم مستريحة » .

وقال ماوتسي تونج ، أستاذ الماركسية في الصين ، وهو يحدد العلاقة بين الطبقات خلال حرب التحرير ضد الاحتلال الياباني : « إن الغاية من سياستنا السليمة ووحدتنا الصلبة أن نكسب ملايين الجماهير إلى صف الجبهة القومية المتحدة ضد اليابانيين . إن الجماهير العريضة من البتروليتاريا، والفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة في المدن ، في حاجة إلى دعايتناوتحريضنا وتنظيمنا . وإن جهوداً متزايدة من جانبنا لازمة أيضاً لإقامة تحالف مع تلك القطاعات من البورجوازية المناهضة لليابانيين » وقال : « من الطبيعي أن ثمة صداماً في المصالح بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية . ونحن لا نستطيع أن ننجح في نشر الثورة الوطنية إلا إذا منحت الطبقة العاملة ، وهي طليعة

الثورة الوطنية ، حقوقاً سياسية واقتصادية وأتيحت لها إمكانية توجيه قوتها ضد الامبريالية وكلابها الخائنة . ومع هـــذا فإذا انضمت البورجوازية الوطنية إلى الجبهة المتحدة لمقاومة الاستعمار فستصبح لكل من الطبقة العاملة والبورجوازية مصالح مشتركة »

دعم الجبهة القومية المتحدة ضد الاستعمار هو إذن ما يراه الاساتذة الماركسيون .

فهل الذين شقوا صفوف « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ماركسيون ؟ وإذا لم يكونوا ماركسيين حقاً فلماذا يسيئون إلى الماركسية ، ويدينون القومية ، ويشقون صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ؟

٧ – كل هذا يحدث الآن في صفوف أبطالنا المناضلين ولا نزيد . فما هو أكثر من هذا لايفيد قوله إلاالأعداء المتربصين ، ولكن السكوت على ما يحدث الآن ليس إلا تآمراً صامتاً على المقاومة العربية في فلسطين . لا تستفيد إلا إسرائيل من إضعاف مقدرة المقاومة على النمو إما بتفتيت صفوفها وإما بتقييدحركتها. والمقاومة العربية ، بعد ، ليست هي تلك القيادات المتعددة ، المختلفة ، المتصارعة ، بل المقاومة العربية هي أولئك الأبطال من الشباب العربي الذين يبذلون حياتهم في صمت ، ويذيقون عدوهم الموت ، ولا يعرف أحد أسماءهم ، ولا يهتمون ، ولو أنهم قواعد كل تلك المنظمات التي يستنفد البعض منهـــا قدراً غير قليل من الطاقات المادية والمالية والبشرية التي منحتها الجماهير العربية لكي تعلو بعض الأسماء ولو على حســاب

الشهداء . المقاومة هم حملة السلاح وليس الثرثارين من المثقفين أو الأدعياء . تلك هي المقاومة ، وعن هذه المقاومة فليدافع الشباب العربي ضد كل محاولة آثمة لاضعافها أو انحرافها ، أو إيقافها .

فما العمل ؟

٨ – وهل تغير شيء جوهري في عامين ؟ ألم نقل إذن من قبل :

« إن كل هذا يقتضي من الشباب العربي أن ينظموا صفوفهم ، ويتولوا أمر أنفسهم ، وأن يقودوا – هم – المعركة ولكن حذار من المثالية . إن تصفية الاقليمية واجب قومي حتى لا تجر أمتنا مرة أخرى للهزيمة والقتل والتدمير والألم والحزن والعار ولكن ليس الآن وقت تصفية الاقليمية . ليس هذا أوان البحث عما يجب أن يكون والتخلي عن الممكن المتاح . إنما هو أوان استعمال الممكن إلى أقصى حدود إمكانياته لانقاذ ما يمكن إنقاذه . إن المعركة عامل ضغط قوي لتتخلى الاقليمية عن وجودها المحتضر ، وعودة الجمهورية العربية المتحدة بالذات عامل حاسم في قلب موازين المعركة ، ويمكن للشباب العربي أن يحقق من هذا وذاك ما تتطلبه إزالة آثار العدوان ، ورد الثقة إلى الجماهير العربية في مقدرتها على تحقيق النصر من قلب الهزيمة ، ولكنه على أي حال ليس أوان الانقضاض على الاقليمية وسحقها وإسقاطها بما يتطلبه هذا من صراع في الجبهة العربية ، كما أنه ليس وقت تلفيق وحدة عربية بمنطق الاقليمية والاقليميين

تحت ضغط الخطر القائم لتنفصل بعد زواله . وغداً أو بعد غد، طال الزمان أو قصر، سيصفي الشباب العربي حسابه مع الاقليمية المدمرة . أما الآن فلتكن الدول الاقليمية أدوات في أيدي الشباب العربي لتكون لهم المقدرة بعد تصفية آثار العدوان على تحطيمها . إن الدول الاقليمية – الآن – هي الأدوات المتاحة في معركة لا تزال محتدمة . فلتبق أدوات ولكن الإرادة للشباب العربي . إرادة الصمود . إرادة الاستمرار في المعركة . إرادة إزالة آثار العدوان . وليفرض الشباب العربي هذه الإرادة على الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين جميعاً . إن هذا يقتضي أن تتحول أيديهم المتعددة إلى قبضة ضاربة واحدة، وأن تتجسد إراداتهم العديدة في أداة مريدة واحدة ، وأن تتكامل جهودهم في تنظيم قومي ثوري واحد يمثل إرادتهم ويفرضها » .

قلنا ولكن كيف ؟

وهل تغير شيء جوهري في عامين ؟ ألم نقل من قبل ؟

« مرة أخرى – ودائماً – من الممكن إلى ما يجب أن يكون من الواقع إلى المستقبل . إن التخلي عن الاشتباك مع العدو في المعركة التي تدور الآن لمحاولة خلق تنظيم قومي يحقق الوحدة ليتدارك ما فات مثالية عقيمة . إن كثيرين من الانهزاميين سيفرون من المعركة بحجة التحضير للجولة القادمة . إن هذا هروب لأن الجولة القائمة لم تنته بعد والمعركة لا تزال مستمرة . وكل ما يتمناه أعداؤكم الآن أن تتخلوا عن الاشتباك معهم ولو عدتم إلى ما استنفدتم فيه وقتاً غالياً وبددتم فيه جهداً ثميناً : الحوار مع

الأقليمية دولاً وأحزاباً وأفكاراً حول كيفية تجسيد وحدة الثوريين العرب في تنظيم قومي واحد. لقد كان على الشباب العربي – دائماً – أن يكفّوا عن وهم الوصول إلى اتفاق مع الاقليميين من خلال الحوار. كان عليهم دائماً أن يعرفوا أن أحداً من أعداء الأمة العربية لن يسمح لهم راغباً بأن يوحدوا إرادتهم في تنظيم قومي واحد، ليوحدوا وطنهم في دولةعربية واحدة. لقد كان ذلك وهماً قبل المعركة، أما الآن فهو هروب من المعركة. إن واجب الشباب العربي الآن أن ينتظموا في كتائب مقاتلة ومناضلة في المعركة القائمة، وأن تنسق الكتائب في كل منطقة جهودها لتنمو من خلال المعركة وفي حدود أغراضها».

ألم نقل من قبل:

«والساحة تقدم إلى الشباب العربي مهمات غير محدودة للنضال الذي يصهر إرادتهم ويصقل مقدرتهم ويدرب صفوفهم على النضال الجماعي المنظم في أسوأ الظروف. إن مهمة الشباب العربي الآن أن ينصروا أمتهم في وضعها المهزوم. فلينتظموا عشرات في كتائب الأنصار وليشتبكوا مع أعداء أمتهم في كل المجالات المتاحة اقتصادياً وفكرياً ودفاعياً واجتماعياً، وفي القتال المسلح إن عاد القتال المسلح، وبالعنف المدمر لكل مصالح أعداء هذه الأمة وعملائهم، وهذه مهمة لن تنتهي حتى بإزالة آثار العدوان. على كتائب الأنصار أن تنتظم معاً في وحدات متماسكة لتحرك الجماهير وتنظمها وتقودها إلى أن

تكون القيادة في الوطن العربي للجماهير العربية » .

ألم نقل من قبل :

« وليحذر الشباب العربي من الاقليمية في كل الظروف فهي غير أمينة على أسرار النضال الجماهيري . وهي هي التي ستتصدى غداً أو بعد غد لهؤلاء الشباب لتحول بينهم وبين الاستمرار في النضال المنظم . وليولد التنظيم القومي الثوري من تفاعل وتعاون والتحام كتائب الأنصار خلال المعركة فكذلك يملك الشباب العربي أسباب النصر النهائي حتى وهم في الوضع المهزوم » .

بلى .

فهل تغير شيء في الوطن العربي خلال عامين لنضيف إلى ما قلنا قولاً جديداً ؟.. نعم . المقاومة . ولكن ألا يتصدون اليوم لهؤلاء الشباب ليحولوا بينهم وبين اكتمال المقدرة على استمرار النضال المنظم ، عن طريق التفتيت والعرقلةوالانحراف؟ هو كذلك .

فما العمل ؟

٩ ــ أيها الشباب العربي ، لا تهربوا من مسئولياتكم وراء التساؤل الكبير . إن القادرين على النصر مسئولون عن الهزيمة فأنتم المسئولون . وأن تخذلوا أمتكم بدلاً من أن تنصروها فلن يجديكم شيئاً أن تتهموا العاجزين عن النصر أو المخربين . إنكم لستم أول أمة خاضت معارك التحرير . إن وحدة العدو، ووحدة الساحة ، ووحدة المرحلة تفرض عليكم أن تكونوا جبهة واحدة

مع كل الذين يقاتلون . والذين يقاتلون فعلا فئتان مفرزتان عقيدة وغاية فلا تختلطان . أنتم القوى القومية التي تخوض في الأرض المحتلة معركة التحرر العربي في سبيل الوحدة.والقوى الاقليمية التي تخوض المعركة من أجل إزالة إثار العدوان أو من أجل تحرير فلسطين ثم لا يزيدون . أولئك حلفاء المرحلة رضيتم أم أبيتم وإن أبيتم فإنكم لا تخذلون سوى أمتكم ولا تعزلون سوى قوتكم ولن تجديكم عزلتكم فتيلا . والحلف غير الوحدة فلا يجديكم في المعركة شيئاً أن تطلبوا وحدة المقاومة مضموناً وتنظيماً . تلك وحدة تنطوي على أسباب الفرقة فلن تلبث حتى تمزق الصفوف كرة أخرى . إنما هي الجبهة العربية الموحدة بين القوى القومية والقوى الفلسطينية المقاتلة . كذلك فعل كل الذين أحرزوا من قبلكم النصر في معارك التحرير .

فلماذا لا تقوم الجبهة ؟

إنكم المسئولون .

إن القوى الفلسطينية منظمة في « فتح » تخوض المعركة من منطلقاتها ، بأدواتها ، إلى غايتها ، لا شبهة في أنها توفي بمسئوليتها في الإطار الفكري والحركي الذي اختارته حداً للقتال . فإن كان ثمة من يقاتلون بعيداً عن « فتح » ولكن تحت شعار « مسئولية شعب فلسطين عن تحرير فلسطين » فإنهم يعبثون . وفي « فتح » مكان لكل المقاتلين من أجل إزالة آثار العدوان عن أوطانهم من فلسطين أو من غير فلسطين. « فتح » إذن هي الطرف القائم بدون شك ، المعين بدون لبس ، ليكون

طرفاً في الجبهة العربية لتحرير فلسطين .

أمـــا الطرف الآخر فأنتم ، وأنتم مبعثرون . أنتم الــذين يمزقونكم كل يوم أو أنتم الممزقون . مع أنكم الأكثرون . أنتم أبطال القتال في ساحة المعركة وأنتم الجماهير العربية في الوطن العربي فأنتم الملايين . فما الذي تنتظرون ؟ أن تبيح الأقليميــة وطنكم لأعدائكم مرة أخرى أو أن تساوم عليه ، أو تستسلم ثم تبكوا كما بكيتم من قبـــل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ المشئوم ؟

أيها الشباب العربي انصروا أمتكم العربية ، فإنها بعد عامين من الهزيمة أكثر من ذي قبل حاجة إلى أن تنصروها ، وأن تنصروا لا تنصروا إلا أنفسكم ومستقبل وطنكم العظيم .

فما العمل ؟

١٠ – (١) ليلتحم كل القوميين المقاتلين في المقاومة في منظمة عربية واحدة وليقيموا مع « حركــة التحرير الوطني الفلسطيني » (فتح) جبهــة عربية موحدة لتحرير فلسطين .

(٢) ولتشكل في كل مكان من الوطن العربي كتائب الأنصار لتكون القواعد الجماهيرية للمنظمة العربية تحمي ظهرها وتؤمن في البداية ودائماً ، وحتى النهاية ، سمتها القوميــة ، ولتكون المنظمة العربية القبضة الضاربة لتلك الجماهير .

(٣) ولتكن مهمة الأنصار من الجماهير في الوطن

العربي حماية الجبهة العربية الموحدة من تخريب الأعداء والمتآمرين والمتخاذلين والمنهزمين ، والتحريض على القتال ، والاستمرار فيه ، وتعبئة كل القوى لمنع التراجع أو المساومة أو الاستسلام . وفي كل قضية مطروحة في أي مكان عربي سيجد الأنصار صلة وثيقة بينها وبين النصر في المعركة ، وعلى أساس تلك الصلة يحددون مواقفهم من كل القضايا ومن كل القوى منتصرين دائماً لأمتهم .

(٤) ولتكن مهمة الأنصار من القادرين في الوطن العربي والعرب المقيمين في أي مكان من الأرض أن يشكلوا مكاتب إمداد المقاتلين بالمال والعتاد إلى أقصى درجة يستطيعونها ليكون المقاتلون في غنى إلى أقصى درجة مستطاعة عن دعم الاقليمية ومالها ليكونوا بذلك أبعد ما يكونون عن أسارها .

(٥) ولتكن مهمة الأنصار من المثقفين والكتاب والأدباء والفنانين ، أعفاء جهد المقاتلين في المعركة من عبء الدعوة الفكرية والإعلامية وليشكلوا من أنفسهم مكاتب الدراسة والدعوة والدعاية وليحضّروا لليوم الموعود .

(٦) وليكن اليوم الموعود إثر مرحلة المعركة القائمة

لإزالة آثار العـــدوان ، أو في يوم معلوم ، عهداً وميثاقاً على كتائب الأنصار الذين صقلتهم المعركة ، واختبروا فيها صلابتهم ، أن يعقدوا مؤتمرهم العربي الذي يتحولون به إلى تنظيم قومي يتولى مسئولية الثورة العربية الشاملـــة ضد الاحتلال والتجزئة والاستغلال فينبثق التنظيم الثوري من قواعده التي حضّرتهـــا المعركة وأهّلتها لدورها القيادي العظيم .

(٧) وليكن شعار المرحلة : التنظيم من أجل التحرير والتحرير من أجل الوحدة .

هكذا يمكن أن يولد التنظيم الثوري القومي من خـــلال معركة تحرير فلسطين .

وهذي رسالة إلى كل الذين يجترّون آلام أمتهم ، ويعيشون منذ أمد طويل أمل الالتقاء في تنظيم قومي ثوري يحقق لأمتهم النصر ويحول بينها وبين أن يمر بها يوم عار أسود مثل ذلك اليوم المشئوم من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . فإن كان الطريق طويلاً وعراً فلأن المعركة طويلة وعرة فلا تخدعوا أنفسكم إن كنتم مؤمنين .

وفي هذا فليتسابق المتسابقون .

أيها الشباب العربي .

أعدوا من قلب المعركة لمسيرتكم القومية ، وعندما يأتي اليوم الذي تعود فيه الأمور في الوطن العربي إلى الأمر الذي

كان واقعاً قبل يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لتبدأ مسيرتكم على الطريق إلى الوحدة العربية.

والسلام عليكم وعلى وطنكم العربي الكبير، ورحمة الله على شهداء أمتكم الأبرار، وبركاته على نضالكم من أجل الوحدة.

٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٩

مطابع دار الكتب

بيروت – لبنـــان

ص. ب ٣٥٥٩